الكاتب: فيصل الشريف عضو جديد
التسجيل : 24 /10 /2004 م | المشاركات : 24

مقابلة مع الدكتور خالد السلطاني

في محاولتنا لإلقاء الضوء على حياة وافكار واعمال الأسماء اللامعة في ظل عدم توفر وسائط التعريف والتواصل الخاصة بالمعماريين العرب على وجه التحديد .. نقدم اليوم أحد الاسماء اللامعه في مجال العمران في وقتنا الحاضر : الدكتور خالد السلطاني ...
قضى الدكتور خالد زمناً طويلاً في التعليم المعماري في الوطن العربي وخارجه ، وتخرج على يديه اعداد كبيرة من المعماريين ، وقدم اعمالا معمارية كثيرة ، و اثرى بما يكتبه عن العمارة والعمران رصيد معرفتنا في امور وتفاصيل كثيرة ، حيث صدر له ثلاثة كتب حتى الآن ومازال هناك مجموعة تحت الطباعة والاعداد .. هذا بالاضافة الى ما ينشره من مقالات تتطرق الى تفاصيل نحتاج الى معرفتها ، وتنشر هذه المقالات في صحف عربية ومواقع الكترونية عديدة ، ومن المواقع التي خصها بنشر ما يكتب ، بيت المعماريين العرب ، ونود هنا أن نقدر له دعمه لبيت المعماريين العرب ، وتشجيعه لمسيرته ، كما نشكره جزيل الشكر على موافقته على اجراء هذه المقابلة التي لا تحتاج في الحقيقة الى تقديم لثرائها ولزوم توفير الوقت لقراءتها :

أُجريت المقابلة بواسطة : فيصل الشريف

س: نبدأ بالسؤال الذي لابد منه عن سيرتك الذاتية ، او بطاقتك الشخصية ؟

ج: ولدت في الصويرة ، من اعمال واسط بالعراق ، في 9 ايار > مايو . 1941 < ، واكملت دراستي المعمارية عام 1966 من مدرسة موسكو للعمارة ، مبعوثا من الحكومة العراقية ، وانهيت دراستي العليا / الدكتوراه / في نفس المدرسة عام 1973.
عملت في قسم العمارة بكلية الهندسة – جامعة بغداد بداية 1974 ولغاية 1996 ، عندما غادرت بلدي احتجاجا على النظام البعثي الديكتاتوري التوتاليتاري ، وعملت في الجامعات الاردنية من1966 ولغاية 2000 ، وشغلت مديرا للمعهد العالي للعمارة والفنون الاسلامية في جامعة آل البيت ، كما عملت استاذا لفترة قصيرة في احدى المؤسسات التعليمية بالسودان.
اقيم في الدانمرك اعتبارا من 2002 ، واعمل في مدرسة العمارة / الاكاديمية الملكية الدانمركية للفنون في كوبنهاغن ، كاستاذ زائر .
اشرفت على على رسائل جامعية عديدة في مرحلتي الدكتوراه والماجستير بالعراق والاردن ، وقمت في نشر العديد من البحوث في حقل الاختصاص ، وصممت اعمالا معمارية مختلفة الوظائف في العراق والاردن

، وحازت بعض اعمالي على مراتب اولى في المسابقات المعمارية.
صدر لي ثلاثة كتب وهي : " حوار في العمارة " (1982 > (الموسوعة الصغيرة – بغداد < ، و" رؤى معمارية " (2000 > (المؤسسة العربية للابحاث والنشر –بيروت < و " العمارة الاموية : الانجاز والتأويل " (2005 > (دار المدى – دمشق. <
احظر للطبع كتاب " قرن من الزمان : مئة سنة من عمارة الحداثة " ، و" العمارة الحديثة في العراق : السنين التأسيسية " و " التناص المعماري : اشكاليات المفهوم والتطبيق > عمارة المعماريين الدانمركيين في البلاد العربية < و " منجز العمارة الاسلامية. "

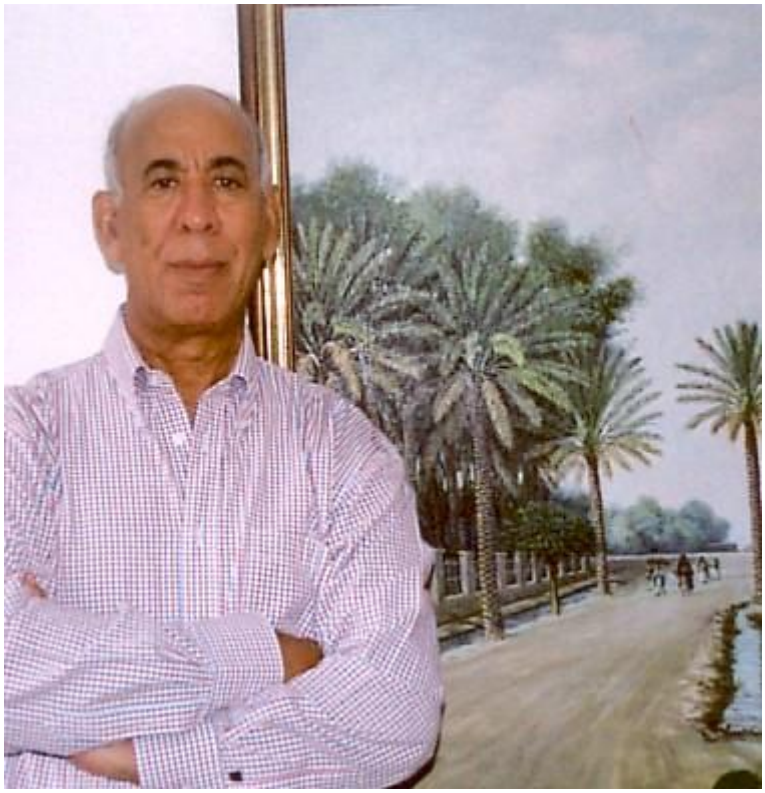

حاولت واحاول ان اوصل تقصياتي وفهمي للعمارة للاخرين من خلال التدريس المعماري ، او عبر كتابات ، انشرها في صفحات الكترونية متنوعة ، وفي الصحف العراقية اليومية ، وكذلك عبر كتبي التى احاول ان اكرس مفاهيم خاصة لدى ، تتناول المنجز المعماري.
وقد يثيرسعة المجال المعرفي الذي اتحرك فيه ، نوعا من الدهشة المشوبة بالريبة في حدس تحديد نوعية اختصاص كاتب النص المقروء . ذلك لان من المتعارف عليه علمياً ، انه كلما كان مجال البحث واسعا وشاملا ، كلما قلت مصداقية التعاطي الموضوعية مع الحدث المثار ، وما يترتب عنها من حتمية ظهور مقاربات سطحية وسريعة تنأى بالمتلقي بعيدا عن هدف اضافة شئ ما ، حقيقي وجاد لخزنة القارئ المعرفية.
واود ، في هذا المقام ، ان اشير الى احتمال تلمس المتلقي لخيط ، ازعم بانه متين ، يجمع بين تلك المواضيع التى انشرها والتى قد تبدو متعددة ومختلفة ، لاول وهلة ؛ ذلك لاني مهتم اساساً بموضوع " العمارة العربية الحديثة " ؛ وهذا الاهتمام قادني الى تقصي جذور هذه العمارة تاريخياً ، مما دعاني الى دراسة العمارة الاسلامية وانجازاتها كمنبع وحاضنة لتطبيقات العمارة العربية الحديثة . في الوقت ذاته ، انهمكت في بحث شؤون العمارة العالمية الحديثة وتجلياتها الاسلوبية ، مقتنعاً بان التعرف على المشهد المعماري العالمي عن كثب ، يفسر لي كثيراً طبيعة مسارات ودواعي تنوع المقاربات التصميمية في الخطاب المعماري العربي . عدا اني ميّال الى تصديق اطروحة تشي بان معرفة " الذات " ، تستدعي ضمناً معرفة " الاخر " ؛ هذا غير من ان ذلك " الاخر " كان (ما زال ؟ (ولفترات طويلة ، منبعا ومصدرا ومثالا للاساليب والطرز المعمارية التى تبناها معماريون عرب كثيرون!

ثمة قضية معرفية اخرى ، شغلتني وكرست لها سنوات كثيرة من عمري المهني ، انحصرت في اشكالية ايصال المعلومة المعمارية الصحيحة والنافعة الى طلابها ، فاستغرقت في العملية التدريسية سنين عديدة استاذا للعمارة ، في جامعات عربية مختلفة ، حاولت جهد طاقتي ان ارسي مفهوما معرفيا جديدا ، يقترب من معنى ذلك النشاط التصميمي المميّز الذي ندعوه " العمارة العربية الحديثة ". وهذا الانهماك والانشغال في مهام التدريس والتعليم الجامعي قادني الى تحفيز فئات اجتماعية متنوعة بوجوب وضرورة الاهتمام بموضوعة العمارة ، كونها تشكل بيئتهم المادية ، وتحدد فضاءات مدنهم وقراهم ، مستثمرا ، من اجل تحقيق ذلك الهدف ، امكانات النشر وطرائقه المتنوعة ؛ فعكفت اضافة الى التعليم المعماري ، الانخراط في مهام توسيع رقعة النشر المعماري ، املا في تيسير ادراك وفهم موضوع العمارة الذي عُد دائما موضوعا نخبوياً ، وجاهدت ، وفق طاقتي ، ان تكون العمارة وموضوعها ، جزءا اساسياً في تشكيل الذخيرة الابستيمولجية للشخص المثقف غير المتخصص.

س: دراستك في روسيا ، ماذا أضافت لك؟

ج: عندما وصلت الى روسيا ، مبعوثاً من الحكومة العراقية ، للدراسة ، كنت توا اكملت السنة الثامنةعشر من عمري ، وكنا من اوائل الاجانب الذين وصلوا الى موسكو بعد الانفتاح الذي طرأ على سياسة الاتحاد السوفياتي في منتصف الخمسينات.
من حسن الطالع باني درست في مدرسة موسكو المعمارية ، التى تعد من المدارس الاولي في اوروبا ، من حيث نوعية المناهج والمقررات ، باعتراف " اتحاد المعمارين الدوليين " ، والذي منح المدرسة جائزته الذهبية في التعليم المعماري عام 1965 ، كما حصلت المدرسة على جوائز تقديرية من منظمات معمارية وتعليمية اوربية مرموقة . كانت مدرستنا امتداد لمدرسة " فخوتيماس " الشهيرة ، التى كانت الحاضنة الرئيسية لتيار " الكونستروكتفيزم " ، فمنها ، >من تلك المدرسة ، التى تأسست في العشرينات ، على انقاض مدارس معمارية سابقة يعود اول انشاءها الى منتصف القرن الثامن عشر <، ظهرت تلك الاتجاهات المعمارية الرائدة والطليعية ، والتى قدر لها ان تبدل مسار العمارة العالمية.

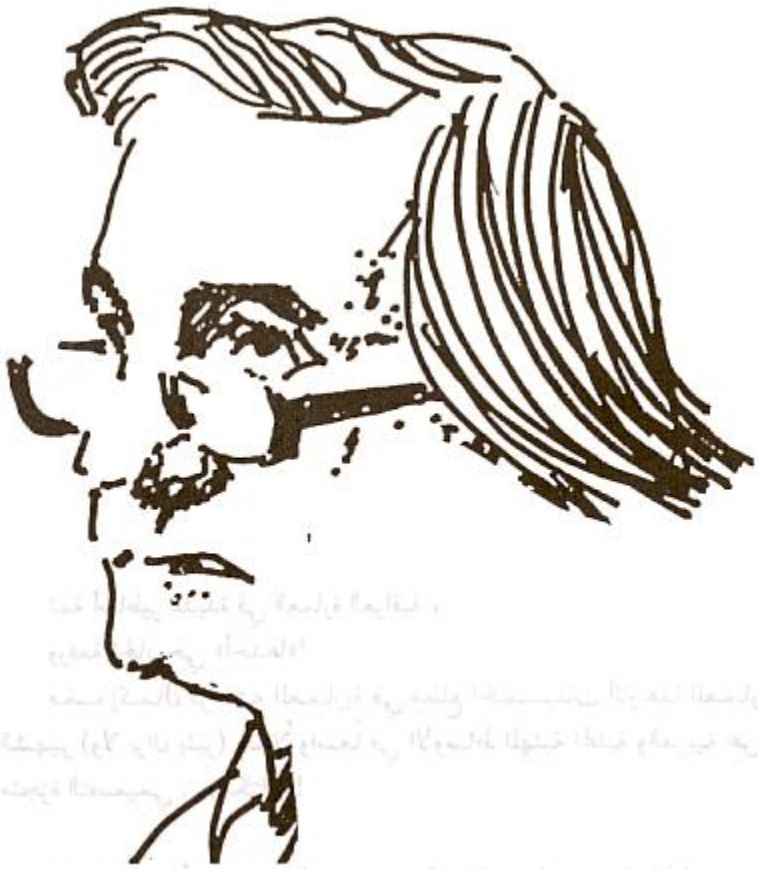

رسم تخطيطي / رفعة الجادرجي

كان جل اساتذة مدرستنا هم اولئك الذين " شغلوا " العالم المعماري بتصاميمهم وافكارهم ومقارباتهم في العشرينات ، وكان الاستاذ المشرف على اطروحتي في مرحلة الدكتوراه وهو " ميخائيل بارش " صاحب التصميم المعروف عالميا وهو " مبنى المرصد الفلكي " (1929) ، الذي عدّ تصميمه من التصاميم المهمة لعمارة الحداثة ، كما ان الاستاذ المحكم لاطروحتي في الماجستير كان " نقولاي كوللي – " المعمار المشارك مع " لو كوربوزيه " في اعداد تصميم " قصر الاتحاد " في موسكو الشهير(1933) ، الذي اعتبر من قبل نقاد عديدين ، كاول ظهور حاسم" للعمارة الحديثة " نظرا لمقاسه الضخم، وتنوع وظائفة ، وتعدد طوابقه .
واثناء دراستي ، كنت حريصا على التعرف على بقية المعماريين " الاسطوريين " الاخرين ، الذين اقترن انجازهم بمنجز عمارة الحداثة واعتبروا مؤسسين حقيقيين لها . وفي هذا المجال ، اود ان انوه بمعرفتي الشخصية بـ " قنسطنطين ميلنيكوف " – المعمار المعروف عالميا ، صاحب تصميم " جناح الاتحاد السوفياتي " في معرض باريس للفنون التزينية ،(1925) والذي حصل " جناحه " على جائزة المعرض الذهبية مع جناح "اسبيري نوفو " للمعمار لو كوربوزيه . كنت ازوره في " دارته " ذات التشكيل المعماري الاستثنائي ،وذات الاهمية الفائقة في منجز عمارة الحداثة ، وكان يحرص على ان يغمرني انا الانسان القروي ، الاتي من الشرق البعيد ، بفيض من المودة الانسانية الصافية ،هو وافراد عائلته ، كلما زرته في تلك " الدارة "الاسطوانية ، ذات النوافذ المعينية المعروفة جيدا لدى معماري العالم . كنت اصغي له باهتمام ، وهو يحدثني عن " العمارة " وعن منجزه المعماري ، والنجاحات والاخفاقات التى مرّ بها ؛ وكانت

تلك الاحاديث ، بالنسبة الىّ ، تعمل بمثابة رافد جديد فى مرامي فهم وادراك هذا الصنيع المميزّ الذي ندعوه " العمارة " ! ، سيما وان مثل ذلك الكلام صادر من معمار مشهور ، ونادر الاهمية في مشهد عمارة الحداثة .

رسم تخطيطي / جعفلا طوقان

تعلمت الكثير من اساتذتي ، ليس فقط " العمارة "، ذلك الاختصاص الجميل ، ولكن تعلمت منهم ايضا " حب " العمارة ، وكيفية احترام " عمل " المعماريين ، والاشادة به كصنيع فني يستحق مبدعيه كل كلمات الاطراء والتبجيل . تعلمت ذلك منهم ، سواء في التعامل اليومي ، في اروقة المؤسسة التعليمية ام من خلال النشاطات المهنية الاخرى التى كنت حريصاً على حضورها والمساهمة فيها . ولعل تأثيرات سلوكية هذا الجانب المهني هي التي حفزت وولدت لدي استعداداً ، مشوبا بالمودة والاحترام، في الاشادة المستمرة باعمال زملائي المعماريين ، والميل للاحتفاء بهم كمبدعين حقيقيين لمنجز واقعي لا يمكنه ان يغش او يكذب !

ولئن باشرت في الكتابة عن اعمال زملائي المعمارين العراقيين و العرب والاجانب ، وتناول اعمالهم في نصوص منشورة ، والثناء على منجزهم الحصيف ، فان ذلك هو من وقع ذلك السلوك الثقافي الذي تعلمته من اساتذتي في مدرسة موسكو المعمارية ، كما اني اعترف بان اسلوب الرسوم الشخصية السريعة ، التى اعملها للمعماريين > والتى ارسل نماذج منها اليك < ، هو نوع من ايماءة احترام وتقدير لهؤلاء المعماريين ، وهو تقليد ايضا ، اخذته من اساتذتي الروس ، هذا عدا من اني ، ومن خلال الاطلاع على اطروحاتهم البحثية المتنوعة المتعاطية مع المنجز المعماري ، استفدت كثيرا فكرا واسلوبا ، ووظفت ذلك في تقصياتي الخاصة حول ذلك المنجز . وحاولت ان ارد جميلهم بالاشارة الى مرجعية تلك الاساليب والمقاربات ، في الكثير من محاضراتي ودونته في نصوص كتبي ، وآخرها في مقدمة كتاب " عمارة الحداثة " التى نشرت مؤخراً على صفحات " بيت المعماريين العرب " ؛ و انتظر ناشرا جريئا لنشرذلك الكتاب . كما اود ان اشير الى ان بطاقة المدرسة التى درست فيها ، كانت تؤهلني ، وفقا للتقاليد والضوابط القانونية ، الدخول مجاناً الى جميع المعارض والمتاحف الفنية والمواقع الاثرية في عموم الاتحاد السوفياتي وقتذاك ، الامر الذي ساهم كثيرا في اثراء ذخيرة ثقافتي الفنية من خلال التعرف والتمتع برؤية كنوز الفنون العالمية بصيغتها الاصلية غير المقلدة .

وعموماً ، فثمة اشياء كثيرة وعديدة ، مدين بها لاساتذتي ، فمنهم تعلمت كيفية احترام الاخر ، وكيفية احترام المنجز المعماري ومبدعيه ، واشعر بامتنان كبير لك ، ايها الصديق ، لطرح هذا السؤال ، ومنحي الفرصة للاجابة عليه ، والاشادة بجميع اولئك الافاضل الاحياء منهم والاموات ، الذين قابلتهم اثناء فترة دراستي او من خلال اطلاعي على نتاجهم البحثي .

رسم تخطيطي / الفار اللتو

س: عدت من روسيا مدرساً للعمارة في العراق ثم في الاردن ، قبل ان تحط الرحال في الدنمارك ، هل هناك فروقا في منهجية التعليم المعماري بين الشرق والغرب ، عندنا وعندهم؟

ج: من ناحية المنهجية ، لا يوجد ثمة فروقات كثيرة ، فاساس المنهجيات المتداولة والشائعة في المؤسسات المعمارية التعليمية العربية، مأخوذ ، كما تعرف ، من انظمة تعليمية غربية ؛ الفرق الاساس هو الاسلوب ، اسلوب التدريس وطرقه . فنحن مابرحنا ، نتعلّم ونعلّم باساليب قديمة مبنية على طرق تجاوزتها الانظمة التعليمية المعمارية منذ زمن طويل . وهو نقص كبير تعاني منه اغلبية المدارس المعمارية في منطقتنا ، او بالاقل ، في تلك المدارس التى تعرفت عليها عن كثب ،او من خلال اطلاعي على اساليب التدريس في بعضها .
وكما تعرف ، فان اساليب التلقين الشائعة في النظام التعليمي العربي ، وبضمنه المعماري ، امست قديمة وغير ملائمة ، والبديل هو الحوار ، والجهوزية للاصغاء الى الاخر والاستماع اليه ، بغية فهمه فهما صحيحا ، وليس التقاط الاخطاء واحصاء المطبات التى قد يقع فيها المقابل للتشهير به ، ايا كان هذا المقابل : طالبا في مدرسة معمارية ، ام هو احد عنصري المحادثة المتبادل .
فيما يخص التعليم المعماري عندنا ، فنحن ، مع الاسف ، نتعاطى مع نهج واحد محدد ، وهو التعليم من خلال اظهار الاخطاء ، اي ان اساتذتنا ومعلمينا يركزون دائما على اخطاء طلابهم ، ومن خلال هذا التركيز ، يتم مسعى تجنب الاخطاء ، لكنهم في خضم " ممارستهم " لهذا الدور، ينسون بان ايصال المعلومة الضرورية الى الطالب ، تتم ايضا ، وايضا ، من خلال " تأكيد " وابراز صوابيات الحلول المقترحة من قبل

الطلبة ، وتوظيف ذلك للاشادة بالطالب المصمم ، اولاً ، والارتقاء بصوابية الحلول تلك ونجاعتها ، ثانياً، كي تكون قدوة وهدف الى الاخرين ؛ وهو ما حاولت شخصياً ان اكرس مبادئ ذلك الاسلوب التعليمي ، اثناء ممارستي للتدريس المعماري . وارى ان الاكتفاء بالاسلوب الاول مع عدم الاكتراث بالثاني ، يجعل من منظومة التعليم عندنا ، منظومة ضعيفة ، تفتقر الى الدينامية والتأثير ، ويجعل منها حالة متأخرة لا تتساوق مع رياح التغيير والتحديث اللتين طالتا انظمة التعليم المعماري في الفترة الاخيرة.

من ناحية آخرى ، تفرز منظومة التعليم المعماري اساليب تعليمية خاصة ، يمكن تقييمها ايجابياً بالاجمال ؛ مثل اسلوب المناقشة ، او مايسمى بالحلقات الدراسية " السيمنار "Seminar ، واعتماد ممارسة " النقد الفردي " او النقد الجماعي " في تقييم اعمال الطلبة ، والاصغاء الى المقترحات الشخصية عبر اسلوب التعليم " وجهاً لوجه " او ما يعرف Board to board ، والتركيز على نوعية الاستجابات الذاتية لمسألة وتمرين عامين ، وغير ذلك من الاساليب الشائعة في التعليم المعماري ، والتى هي في الحقيقة مختلفة عن الاساليب المتبعة في فروع الهندسة الاخرى.
ويمكن تكريس تلك الاساليب التعليمية المتقدمة بشكل واسع وعميق في منظومات التعليم عندنا بغية المساهمة في تأهيل طلبة المدارس المعمارية تأهيلا علميا ومهنيا عاليين . ومع ان اكثرية المدارس المعمارية عندنا ، تسير وفق خطى تلك الانظمة التعليمية المتقدمة المعروفة في الغرب ، لكن ذلك لا يمنع من ذكر بعض الفروق والمعوقات التى تنتاب العملية التعليمية المعمارية في منطقتنا العربية ، ونتطلع باخلاص الى زوالها واختفاءها سريعاً من اساليب التعليم المعماري عندنا.
ومن ضمن تلك الفروق ، يمكن ايراد توفر المعلومات الغزيرة في مدارس الغرب عموماً ، وسهولة الحصول عليها بوسائط متنوعة ، نسبة الى ما يعاني به الطالب المعماري العربي من شحة واضحة في تلك المعلومات وصعوبة الوصول اليها.
يمكن ايضا التذكير، بسهولة اجراء وتنظيم زيارات طلبة العمارة في مدارس الغرب بعضهم للبعض الاخر ، وشيوع دعوات اساتذة معماريين مرموقين ، ومشهود لهم في مجال الابداع المعماري في القاء محاضرات على طلبة المدارس المعمارية ، وتنظيم ندوات و " ورش" تعليمية خاصة في مواقع مدارسهم ؛ وعدم الاكتراث لمثل هذه الفعاليات عندنا، او صعوبة تنظيم مثل تلك الانشطة لاسباب عديدة .
ويظل سقف الحرية العالي ، الحرية الواقعية والحقيقة ، وفضاءها الفسيح ، التى يتمتع بها طلبة المدارس المعمارية في الغرب ، ومناخاتها المترعة باحاسيس الاستقلالية ، وتكريس احترام الذات ، واحترام الاخر ، والامكانات الكثيرة والمتنوعة المتاحة في طرح افكار جديدة ، بدون الشعور بوطأة " التابوهات " المثقلة بها حياتنا الاكاديمية ، يظل كل ذلك ، يمثل الحالة الاكيدة والمميزة التى ينعم بها طلاب المدارس المعمارية في الغرب ، والتى بالمقابل يفتقر ، اوينعدم ، مع الاسف الشديد ، وجودها في حياة طلبة المدارس المعمارية عندنا.

س: تعلمت في الغرب وعملت فيه ، الا أنك تكتب بلغة عربية سلسة فصيحة .. كيف يمكن للمعماري الشاب أن يحقق ذلك؟ .

ج: : اشكرك ، لحسن ظنك فيّ ، وبما اكتب.
اتمنى ان اكون مفيداً ، اشعر بان المنجز المعماري ، هو في الحقيقة منجزا جميلاً ورائعاً ، ويحسن ان يكون الكلام عنه متساوقا مع جماليته المشوبة بالدهشة ، وارى ان اختيار المفردات المناسبة في كلا المنجزين : المعماري والكتابي ، امرا لابد منه ، لتكامل الحدث مع الحديث . !
-كيف يمكن للمعماري الشاب ان يحقق ذلك ؟ - بمنتهى السهولة ، اذا كان مهتما حقا بمهنته ، وتواقا الى نشرها ، ومشاركة الاخرين " متعة " اكتشاف او اعادة اكتشاف هذا الصنيع المميّز.
ليس هناك شروط سحرية في هذا الجانب ، يبدو لي بان اياً منا بمقدوره ان يكون ناقداً ناجحا للعمل المعماري ، اذا تبين له بان مايراه اويدركه من مشاريع مصممة ، يشكل امرا مفيدا للناس الاخرين وللمهنة المعمارية . لا اريد ان ابدو تبسيطيا ، بيد اني حقا اسعى الى تأكيد تينيك الناحيتين : المقدرة على رؤية نجاعة العمل المعماري ، من وجهة نظر موضوعية مفعمة ، بالطبع ، بالحس الذاتي ، والتوق الشخصي بان العمل المنقود يضيف شيئا مفيدا الى المهنة والى ثقافة المتلقي.

س: لماذا اخترت أن ترحل بعيدا عن الوطن العربي ، الا يمكن ان تجده فيه الفرصة والمأوى لتقرأه وتكتب عنه من قريب؟

ج: لم يكن خروجي من بلدي طوعياً ، بل ثمة ظروف قاهرة املت علىّ ، وحتمت خروجي انا وعائلتي . وهذه الظروف هي ذاتها التى اجبرت المئات بل الالاف من المثقفين العراقيين المبدعين الى الهجرة خارج الوطن بسبب سياسات النظام الديكتاتوري الاستبدادي الذي كان سائدا في العراق . وبخروج هذا العدد الكبير من المثقفيين ،فان العراق فقد كثير من الفرص والامكانات التى كان يحسن توظيفها لمصلحة البلد ورخاء مواطنيه ؛ لكن الانظمة الاستبدادية / التوتاليتارية لا يهمها قطعا مصير الوطن والمواطنين ، ان ما يهمها هو التشبث بالسلطة ، واستخدامها كاداة لالغاء اي صوت معارض لاستبدادها وظلمها وجورها وقهرها ، وهو ما كان متبعا على نطاق واسع في بلدنا ، ابان العهد الصدامي البعثي المقبور.

س: هل لابد للمعماري أن يكون بارعاً في التصميم؟

ج: تأهل الدراسة المعمارية الطلبة/ الخريجين ليكونوا معماريين ، او بالاحرى مصممين . هذا هو الهدف الاساسي والرئيسي لمهام التعليم المعماري .
السؤال المطروح : هل ينبغي ان يكونوا بارعين ؟ الجواب - اعتقد ان هذا منوط بالشخص نفسه ، حبه واهتمامه بالمهنة، حرصه لان يكون ذا فكر متفتح ، واسع الاطلاع ، القدرة على التقاط النافع والاستثنائي من المشاهد العادية ، الخ .. كل ذلك يعمل على ان يكون الخريج بارعاً في حقل اختصاصه : التصميم ؛ وبالمناسبة فان ذلك لا يقتصر على خريجي المدارس المعمارية لوحدها ، وانما يشمل بالطبع ، خريجي الجامعات بشكل عام . مع التذكير بان بعض الدراسات التربوية توصلت الى نتيجة بان النظام الجامعي > والحديث يشمل اعرق الجامعات واشهرها < ليس بمقدوره ان يمنح معلومات مهنية اكثر من 20-26 % من نسبة الاحاطة والمعرفة بالاختصاص ، وعلى الخريج المؤهل جامعيا ، ان يضيف لاحقا ، و " يسترجع " بقية النسب " الناقصة " من حقل العمل الميداني ، اثناء شغله لذلك الاختصاص ! . وهذا ينطبق بشكل خاص على مهنة المعماري .
بعبارة اخرى ، وتأسيساً على نتائج تلك الدراسة فان الخريج المعماري ، يمتلك "ربع " المعلومات الواجب معرفتها عن المهنة المعمارية ؛ ولهذا فمن غير العدل ، ان تطلب من حديثي التخرج معارف كاملة ومتكاملة ، حالما يشرعون في عملهم الجديد . وهذا الامر ينبغي ان يكون مفهوما للجميع ، بضمنهم ارباب العمل الذين يرغبون في استخدام المعماريين الجدد . كما ان هذا الامر يحسن ان يعرفه المعماريون الجدد انفسهم ، ايضاً ، حتى لا يصابوا بالاحباط او الخيبة ، جراء " تعرضهم " لاول مرة لمشاكل مهنية ، لم يكن لهم الماماً مسبقاً في حلها او المعرفة التامة بها.
ونعود الى السؤال المطروح ، ونشير بثقة ، بان > ليس بداً < ان يكون المعماري بارعاً في التصميم . فالدراسة المعمارية بحكم خصوصيتها تعرض طلابها لمعرفة مواد ومواضيع كثيرة ومتنوعة . وهذة " الفرشة " العريضة من المعلومات الفريدة والمتفردة والمتنوعة ، تؤهل ، وتساعد خريج المدارس المعمارية اكثر من اي فرع تعليمي آخر، لمزاولة انواع عديدة من المهن ، في حالة رغبة الخريج عدم ممارسة التخصص المعماري . اعرف كثير من المبدعين في حقول معرفية آخرى غير معمارية ، ساهمت خصوصية دراستهم المعمارية في التعجيل لتبوأ مثل تلك المراتب العليا في مهنهم الجديدة.
عندما كنت ادرس في روسيا ، كنا نعرف نحن طلبة العمارة ، بان اشهر رسامي الكاريكتور آنذاك ، كان معمارياً ، وان الشاعر الروسي المبدع " اندريه فوزنسينسكي " كان ايضا معماريا ، هذا بالاضافة الى المغنية الاوبرالية الاولى في مسرح " البولشوي " كانت هي الاخرى معمارية ، وعشرات المعماريين الاخرين الذين نجحوا في عملهم في الادارة والاقتصاد والسياسة والفن ، اضافت لهم خلفياتهم المعمارية بعدا جديدا ومساعدا في نجاحهم المهني والشخصي . كما يمكن ايراد اسماء معمارين عديدة ، في بلدان اخرى ، اسهمت الخلفية المتنوعة من المعلومات التى حصلوا عليها اثناء دراستهم للعمارة ، وساعدتهم بنجاح كبير في اشغال مهن مختلفة لا تمت بصلة مباشرة الى مهنة العمارة . بكلمات اخرى ، اعتقد ان منظومة التعليم في المدارس المعمارية ، تمنح خريجي تلك المدارس ، امكانات مضافة غير متوفرة في خريجي فروع المعرفة الاخرى ، لكن الاجابة عن السؤال تظل ناقصة فيما لو لم نشر الى ان طبيعة الميدان الواسع للمنتج المعماري والذي لا يقتصر على فعالية التصميم المعماري لوحدها . فكلمة " تصميم " واسعة ومتنوعة ، ويمكن ان يكون المعمار: ناقدا معماريا ، او باحثا في شؤون العمارة ، كما يمكن له ان

يكون استاذا اكاديميا ، وان يشغل باقتدار ، مراكز ادارية ، تسهم معرفته " التصميمية " وما يرافقها من ممارسة عمل اجراءات منطقية متسلسلة ، تفضي الى بلوغ الهدف المنشود بصوابية عالية واكيدة.
باختصار شديد ، تمنح خصوصية المهنة المعمارية ، امكانات كبيرة ومتشعبة لممتهنيها لمزاولة اعمال عديدة ، بعيدة عن التصميم المعماري ، رغم ان الاخير هو عنوان المهنة الصريح. !

س: هل عملت مصمما ، وهل من الممكن مشاهدة نماذج من تصاميمك؟

ج: رغم اهتمامي وحبي للتصميم ، فلم اصمم كثيرا، بسبب بعض المعوقات التى صادفتها في طريق مهنتي ، واستغل النظام الديكتاتوري وضعنا الاقتصادي الهش ، ليحرمنا من متعة مزاولة التصميم ، وهذا بعض من تلك الاثام التى اقترفها ذلك النظام الاستبدادي.
وفي كل الاحوال ، فان المشاريع التى صممتها كنت اتوخى بها اضافة نوعية الى البيئة المبنية المحلية .
كنت مهتما بان تكون اضافاتي التصميمية مفيدة الى الناس وحافزا لرفع مستوى الذائقة الفنية لديهم ، وفضلت ان تكون مشيدة في الضواحي ، خارج نطاق العاصمة بغداد ، المتخمة بيئتها بالمشاريع المتميزة والجميلة ، ربما لاني ابن تلك البيئة ، واردت ان اساهم في تغييرها وتحديثها ، البيئة المحرومة من اية مساهمة معمارية مميزة .
سنحت لي فرصة لتصميم مبنى اداري ضخم في مدينة " الناصرية " ، وهي مدينة جنوبية تبعد كثيرا عن بغداد ، و " الضخامة " هنا ، نسبية طبقا الى مقاييس تلك المدينة النائية ! ، واستثمرتها لاعلن عن قناعاتي التصميمية بشكل صريح . فقد كنت > ولازال < معجبا بطروحات (لويس كان) ، ولاسيما اطروحته الشهيرة > : مبنى داخل .. مبنى < ،)وبالمناسبة فاني اعتبر لويس كان ، واحدا من المعماريين القلائل ،الذين ادركوا، وفهموا العمارة الاسلامية ، تحديداً ، بشكل مبدع ، وذكي ، وجاد ؛ بحيث يمكن لنا ، ان نقول بان بعضاً من عمارته تعد احدى تجليات الفعالية التأويلية لذلك المنجز الحصيف ، ولكن هذا موضوع آخر ، لوقت ومكان آخرين . (!
في ذلك المبنى الذي احتفظ بصور قليلة وقديمة عنه ، ارسلها اليك ، حاولت ان استثمر عنصر الجدار / الشاشة Screen لتقليل نفاذ حدة الضوء القوي الى داخل المبنى ، وحماية المنشأ من اشعة الشمس الجنوبية الحارقة ، واعتقد ان النتائج " الفورماتية " المطبوعة بخصوصية المكان ، التى توصلت اليها بدت مقنعة لي، ومقبولة ، ولا تنسى بان المبنى صمم في عام1977 ، اي قبل ما يقارب ثلاثة عقود من السنين ، ولم تكن منتشرة طروحات العمارة الاقليمية او عمارة المكان ، بشكلها الحاد والمألوف في الممارسة المعمارية مثل ما هي رائجة الان في الخطاب المعماري الاقليمي .

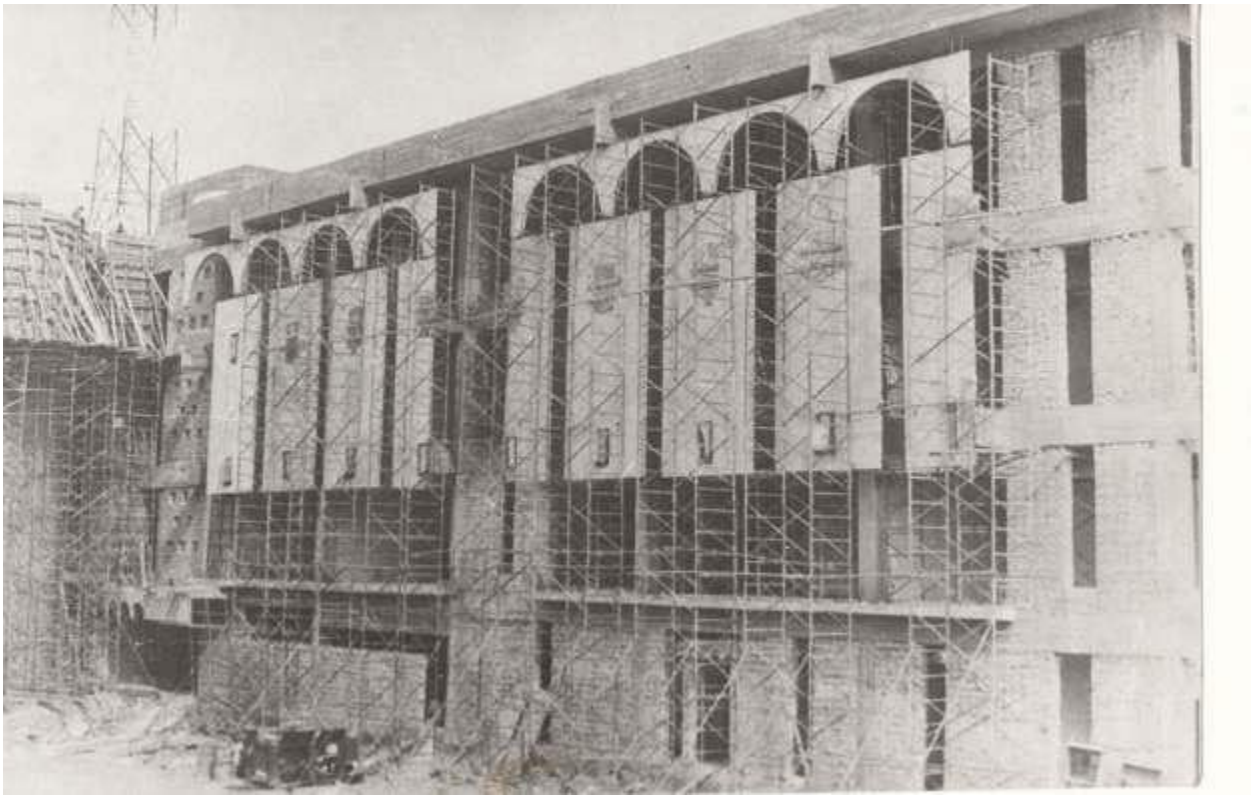

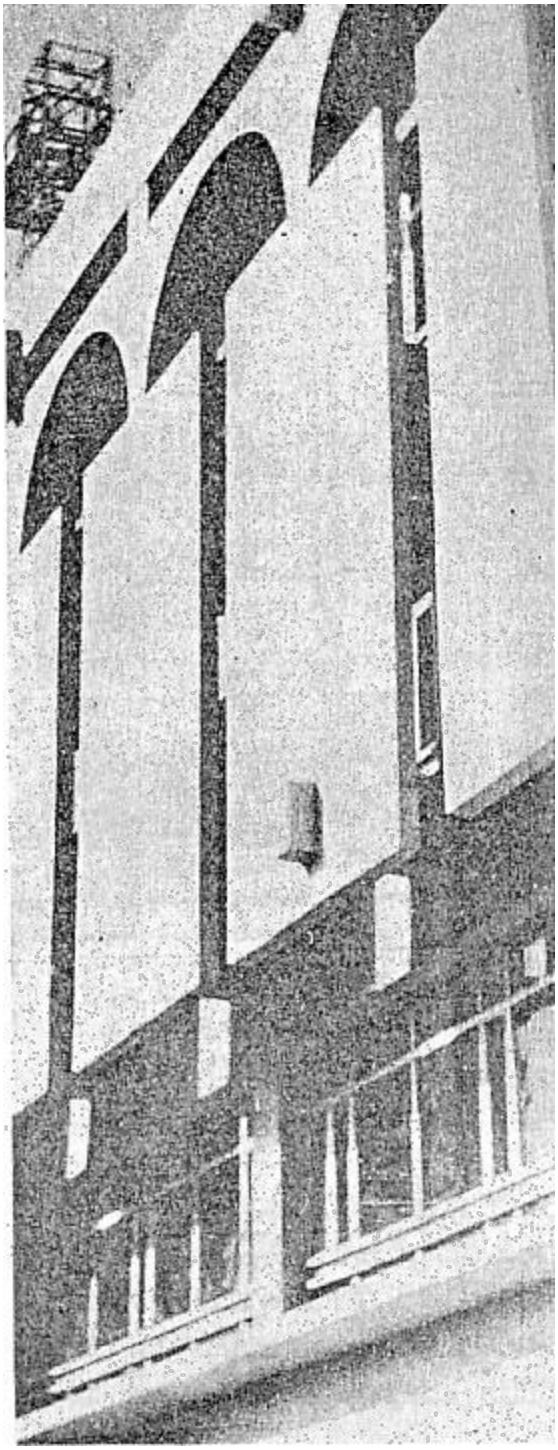

والجدير ذكره بان هذا المبنى الذي اعتز به كثيرا لم اتمكن من رؤيته وهو مكتمل . اذ سرعان ما شن النظام حربه العبثية على ايران ، بعيد الانتهاء من الاعمال التكميلية ، وامسى المبنى بمثابة " موقع عسكري " كونه يخص منشاءات توليد الطاقة ، الامر الذي تعذر علي ّ زيارته طيلة سنين الحرب التى امتدت لمدة ثمان سنين عجاف كانت كافية لتحرق العراق واهله وشبابه على وجه الخصوص ومشاريعه وآماله ، ثم تبعها بكارثة اخرى وهي احتلاله المشين والمفجع لدولة الكويت الشقيقة ، وما نتج عن ذلك بان جعل العراق كله موقعا عسكريا ، لا احد يمكن له التصوير او زيارة ايا من الامكنة التى عدت جميعها من

المواقع العسكرية . وغادرت العراق ولم ار هذا المبنى ، عدا هذه الصور القليلة التى التقطها يوما ما " مقاول " المشروع.
كما صممت بعض الابنية السكنية التى اعتز في تكويناتها ، ولاسيما " دارتي " الشخصية ، التى طبقت فيها ما لم يكن سهلا تطبيقه في ابنية الاخرين ، حاولت في عمارة دارتي ان يكون مناخ العمارة الاندلسية المؤولة ، ونَفسَها حاضرين بصورة ملموسة من خلال القنوات وتنوع النوافير لتى استخدمتها بصورة واسعة في الدار . بالاضافة الى تصميمي لمبنى مؤسسة معنية باحوال العمال في مدينة الديوانية ، وهي احدى مدن الفرات الاوسط المهمة ، ورغم ان التصميم لم ينفذ ، فاني ازعم ، لو انه نفذ لكان يمكن ان يكون اضافة معمارية ، نظرا لما تمتعت به لغته التصميمية من عناصر جديدة اراها تشي بشكل واضح الى خصوصية المكان .
ثمة تصاميم اخرى اعددتها ، لكن اغلبها لم ينفذ لاسباب عديدة منها تصميم " مسجد محلي " ، نلت عنه جائزة اولى في مسابقة معمارية مهمة ، ومشاريع سكنية ، كان الواعز لتصميمها ايجاد بدائل جديدة في المواد وفي الانشاء ، وطبعا في اللغة المعمارية.

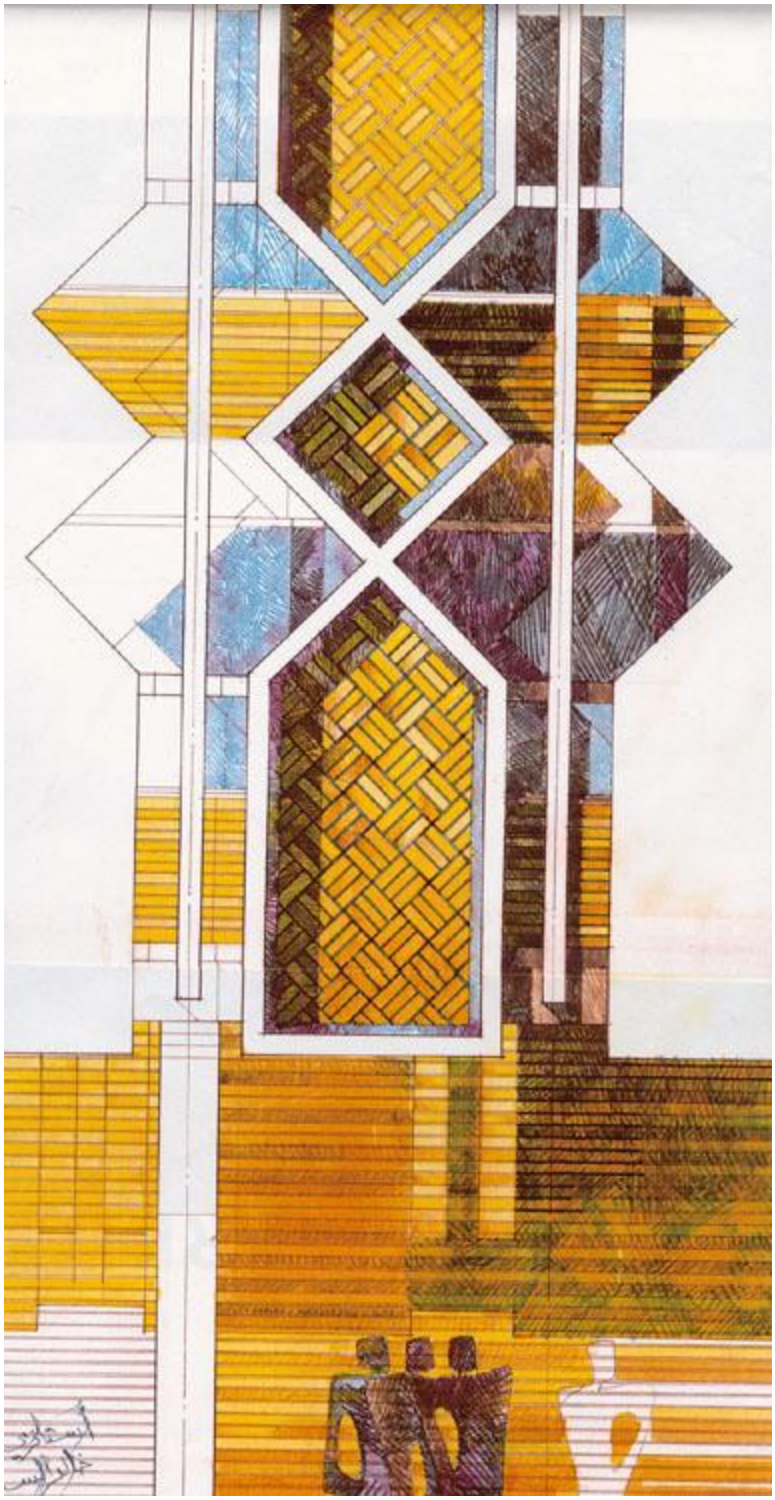

مشروع مدينة الديوانية / العراق

في الاردن عندما التحقت بجامعة " آل البيت "، كُلفت بتصـيم مدخـل لمجمـع قاعات التدريس فيها .
والمعروف بان جامعة آل البيت شغلت موقعا ومبانٍ لم تكن اصلا مخصصة لها ؛ ولهذا فان تخطيطها وطبيعة كتلها لم تكن ملائمة اومناسبة للفعالية التعليمية . ومجمع القاعات التدريسية ، كان قد صمم سابقا من

قبل مكتب استشاري ، وكانت اللغة الوظيفية البحتة و " العارية " طاغية في الحل التصميمي.
ُطلب مني ان اصمم " مدخلا " لهذا المجمع ، ولكوّن فضاءات الجامعة تفتقر بشكل اساسي الى مفردة الفضاءات الترويحية او الترفيهية Recreation area ، التي اعدها احد العناصر الواجب توفرها في عمارة الابنية التعليمية ،(نظرا لما تمنحه هذه الفضاءات من امكانيات لاجراء الحوارات والمناقشات والتلاقي بين الطلبة ، وفي اعتقادي بان هذه الفعاليات التى توفرها تلك الفضاءات ، هي من حيث الاهمية مكافئة ومعادلة لفضاءات قاعات الدرس ؛ ومباني التجمعات الطلابية التى تخلو من مثل هذه الفضاءات ، هي مجمعات بالقطع ناقصة وبعيدة عن الاجواء التعليمية الصحيحة) ؛ اقول ، نظرا لعدم توفر هذه الفضاءات في الفكرة التخطيطة لجامعة آل البيت ، ارتأيت ان لا يكون" مدخل " القاعات التدريسية مقتصرا على وظيفة ربط وانتقال بين الخارج والداخل ، وانما استثمار هذا الحدث لحضور وتعزيز دور الفضاءات الترويحية في الحل المنشود .

مجموعة صور لبوابة جامعة آل البيت - الاردن

اعتمدت الفكرة التصميمية الى " مدّ " و " اطالة " طريق الدخول ؛ ولكّون مستوى ارضية المجمع هي اعلى من منسوب الارض الخارجية المحيطة ، فقد استفدت من ذلك بجعل امتدادت المدخل تعمل وكأنها " قنطرة " ، عبر حفر ما تحتها ، حتى يمكن الاتصال بين طرفيها من الاسفل. واستثمرت الفضاء الواسع الذي تكون ، بحيث يمكن استخدامه كمكان لتلاقي الطلبة وتجمعاتهم . ولاجل التأكيد على نوعية وظيفة هذا الفضاء الجديد ، كمكان وقوف وجلوس ، توخيت ان يكون حافلاً بمصاطب جلوس ، التى قامت " دَرَجَات " الفضاء "الامفيثياتروي Amphitheater " بها ، كما عالجت هذه الارضية المكشوفة والمحددة بسواقي صغيرة ذات مستويات متنوعة ، تصب في مسطح مائي واسع تتخلله النوافير ، مع استخدام واسع لاحواض الزهور والنباتات فيه ، حتى يكون وجود الماء والخضرة باعثا مضافا لحضور البهجة والمتعة البصرية ، في بيئة تفتقر الى هذين العنصرين .
وكما توقعت فان فضاء المدخل ، يعتبرالان من الامكنة المفضلة لدى طالبات وطلاب جامعة آل البيت ، وهو بمثابة " الفناء الداخلي " للجامعة ، كما ان صور المدخل ومجاوراته امست صور يدلل بها عن طبيعة الحياة الجامعية هناك ، وهو امر اعتز به كثيرا ، وبوسع متصفحي " بيت المعمارين العرب " زيارة موقع الجامعة لمشاهدة صور اخرى، والرابط هو الاتي:
http://www.aabu.edu.jo/
واثناء وجودي في الجامعة ، طلبت بلدية " المفرق " – وهي المدينة التى تقع فيها الجامعة ان اصمم لهم " بوابة المدينة " و " نصباً " نحتياً في احدى الساحات . وكلا التصميمين لم ينفذا ،مع الاسف ، مع اني بذلت فيهما جهدا تصميميا كبيرا ، وسعيت الى تثبيت رؤى جديدة لمداخل المدن وبواباتها والنصب النحتية فيها . (وللعلم فان مشروع مدخل الجامعة ، والتصميمين المذكورين توا ، صممتهم بدون مقابل ، كرد جميل مني الى الجامعة ، وكتحية الى سكنة المفرق. (

نصب تذكاري بمدينة المفرق / الاردن

فيما يخص البوابة ، حاولت ان اتجاوز مفهوم " الباب " بمفهومه الحرفي ، كما تطلعت تصميميا ليكون زائر المدينة يحس بلحظة الدخول اليها عبر توالي مفردات معمارية ممتدة بامتداد مسافة محددة من الطريق ، وليس عبر اختراقه لبوابه ، ربما لا يدري انه مرّ بها فعلا.
اما النصب النحتي فقد كان مفترضا ان يكون بارتفاع 10 امتار ، وهو عبارة عن كتلتين من الخرسانة المكسوة ، تمثل في جانبها مسارين ، كناية عن مدينة " المفرق " ، التى يدل اسمها عن مفترق طرق ، ويخترق هذين الكتلتين من الاعلى ، فتحة ، تدلل على انفتاح اهلها و تقبلهم للاخرين ؛ اما القاعدة فقد صممت لتعطى الاحساس بالشمس ، التى تغمر باشعتها وضياءها اجواء المدينة طيلة ايام السنة !
وحاولت ان اراعي جهد الامكان بان يكون النصب مشغول من مواد لا تتطلب صيانه مستمرة ، كما لم استخدم فيه عنصري الزرع او المياه ، لشحتهما والتقليل من تبعات الصيانة الدائمية .
وعلى العموم ، فاني صممت لوحدي او مع مجموعة مصميين ، عشرات المشاريع المنفذة وغير المنفذة ، وما ذكر من مشاريع ليست هي المثلى ، وليست هى الاحسن ، لكني اعتبرها محطات تصميمية اساسية في حياتي الشخصية المهنية.
في الدانمرك ، حيث اقيم ، ليس من السهل مزاولة المهنة لاعتبارات عديدة ، وفضلت عليها مزاولة مشروعي الخاص وهو الكتابة المعمارية ، التى بها اتواصل مع مهنتي ومع الاخرين ، واتطلع هنا ، في كوبنهاغن ، ان اكمل بحث/ كتاب عن المعماريين الدانمركيين ، الذين عملوا في منطقتنا العربية ؛ متوخياً في هذا البحث / الكتاب ، الذي عنونته " التناص المعماري : اشكالية المفهوم والتطبيق " ، التعرف على وجهة نظر عديدة من المعمارين ، حول قضايا مفهوم " الاخر " معمارياً، وكيف قّدر لهم فهم ثقافتنا وبيئتنا المبنية ، وما هي النتائج المستخلصة من فعاليات " التأويل " التى اسقطوها على منجز العمارة الاسلامية .
وكما تعرف ، فان الذين عملوا في منطقتنا، هم اصلاً ، من المعماريين المشهورين محليا ودولياً ، ولهم وجة نظر خاصة في العمارة ، ولهذا فاني ارى من النافع لنا > ولهم ايضاً < تتبع هذا المسار " الحواري " الحصيف ، الذي تم عبر مشاريع متميزة ، ولنذكر بان مصمم مبنى مجلس الامة في الكويت ، هو " يورن اوتزن " – المعمار المعروف دوليا ، مصمم " اوبرا سدني " الشهير ، كما ان نفس المعمار، اعد تصاميم المدينة الرياضية بجدة بالسعودية علم 1964 > لم ينفذ التصميم < ، ومصمم مبنى وزارة الخارجية في الرياض ، ايضا معمار معروف على النطاق العالمي ، وقد حاز على جائزة " اغا خان " المعمارية المرموقة عن هذا التصميم ، وثمة مبان اخرى عديدة صممها معماريون دانمركيون مثل ، البنك المركزي الكويتي في الكويت ، والمتحف الوطني للفنون في المنامة البحرين ، والمصرف المركزي العراقي في بغداد ، وكثير من التصاميم المميزة التى ارى فيها مناسبة لتأسيس حوار ثقافى – معماري شيق ومفيد ، وآنى ، فى وقت

يحاول البعض جاهدا ان يقطع اواصر هذه الفعالية من " الديالوغ " الحضاري ، بحجج واهية تنطوي على ظلامية مقيتة ، وتدلل على عدم قبول الاخر ، والتعمد الى الغاءه .

يتبع - لإستكمال المقابلة ، واصل القراءة ...

أُضيفت بتاريخ 2005/ 05/ 26 : م | حرر المشاركة

اضف تعقيب اضافة جديدة

الكاتب: فيصل الشريف	حرر في 2005/ 05/ 26 : م

عضو جديد | التسجيل : 24 /10 /2004 م | المشاركات : 24

استكمال المقابلة مع الدكتور خالد السلطاني

س: لك تجربة في النشر المعماري ، ما رأيك في حركة النشر العمراني العربي ؟ و مارأيك فيما ينشر عن العمارة باللغة العربية؟

ج: نعم لي تجربة في النشر المعماري ، لكنها تجربة مريرة ومحزنة .. ومكلفة ايضاً . وعندما افكر في عملية النشر ، اعرف جيدا لماذا نحن متأخرين . فالنشر اياً كان نوعه ، هو بمثابة علامة على التقدم ورمزا لثراء ثقافي.
والبلاد العربية في هذا المجال ، تلوح لي ، بانها البلاد الوحيدة في العالم ، التى يجبر الناشرون المؤلفين بدفع اجور لطبع كتبهم ، بدلا من ان يدفع اؤلئك الناشرين للمؤلفين حقوقهم الكتابية ! وهذه المعادلة غير المنطقية ، وغير الحضارية .. وغير الانسانية ايضا ، هي المعادلة الرائجة والمعروفة في " بزار " النشر العربي ؛ طبعاً انها سرقة مفضوحة ، وتسلب المؤلفين حقوقهم المشروعة . ولهذا فان التفكير بالنشر في بلادنا العربية ، يعني خسارة مادية بالمطلق ! ، ولهذا السبب ، فان كثيرا من المؤلفين ، والمعمارين بضمنهم ، يعزفون عن النشر ؛ وعدم النشر يعني في الاحوال كافة ، بقاء المعلومةً لدى النخبة حصرا ، وعدم ايصالها لمن يطلبها او يريدها، وهذا يدل ايضاً ، على زيادة " مواقع " الجهل ، وتوسيع " مساحته " ضمن فضاءات مجتمعاتنا ؛ وما نلاحظه من قيم متدنية (وانا اتكلم عن العمارة حصراً) ، والنفور من الجديد ، والعزوف عن التغيير ، والركون الى المألوف ، والشائع ، والعادي والمعتاد في الممارسة التصميمية ، هو بسبب > عدم < تعرض معمارينا ومصممينا لاعادة قراءة جديدة ، او ما يسمى الان " بالقراءة الخاطئة Misreading "لما يعتبرونه نهجا ثابتا ومستقرا .
وتبدو التبعات السلبية ، فيما يخص النشر المعماري ، مزدوجة . فعدم شيوع ما ينشر بالعمارة وما حولها ، افضى الى جعل الممارسة المعمارية ، تبدو وكأنها ضرباً من ممارسة خفية ، او في احسن الاحوال غير مفهومة ، الامر الذي ادى الى قطيعة" ابستمولوجية " بين المعماريين الممارسين وبين متلقي عمارتهم ؛ فلا المعمار يهمه ايصال الرسالة المعمارية ، ولا المنتفع يقدر على " حلّ " اشارات المنجز المعماري ورموزه. !
لا احد ، ياصديقي فيصل ، مهتم في هذا الجانب ، لا الحكومات ، ولا المؤسسات المعنية بالعمارة ، او منظماتها ، ولا الافراد ، ولا حتى ... المعماريين انفسهم!
نسمع كثيرا عن اهمية النشر المعماري ، لكن ما نراه ونسمعه هو : جعجعة بدون .. طحين !

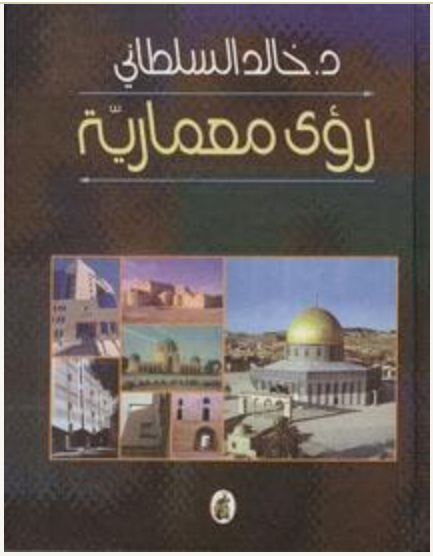

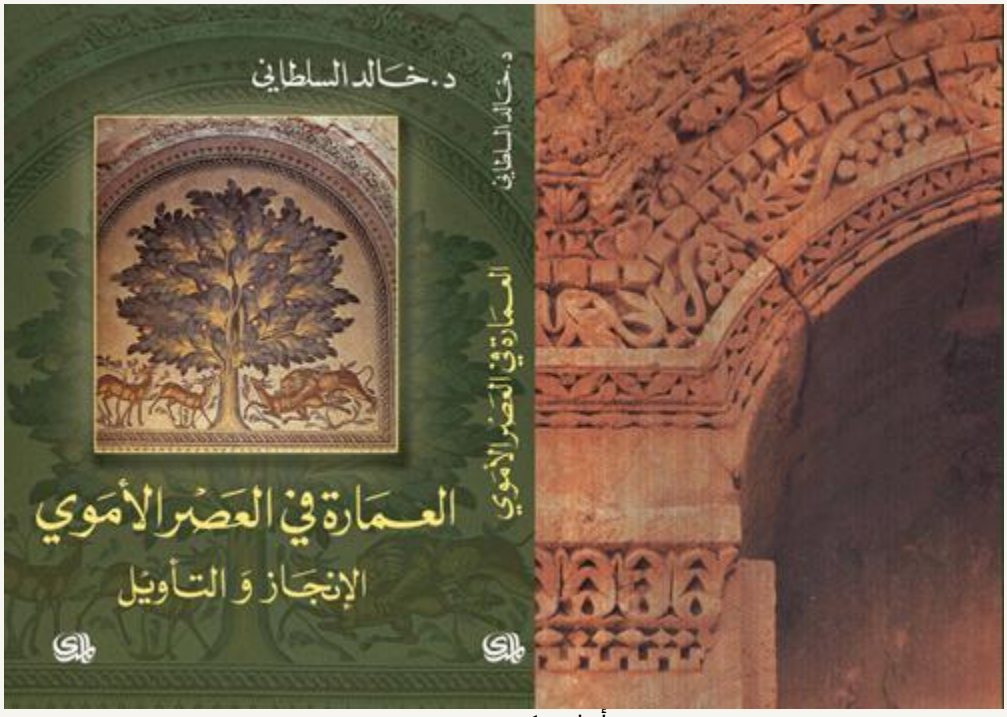

أغلفة كتب منشورة

س: كيف ترى السبيل لتشجيع النشر المعماري العربي؟

ج: كما تعرف ، فان المنتج المعماري ، منتج مكلف اقتصادياً ، وله تبعات ثقافية متنوعة ، هذا فضلاً على ان الانتاج المعماري ، هو انتاج وظيفي ، بمعنى ان جميع الناس يتعاطون معه ، سواء كان ذلك في مسكنهم او في عملهم ، ام في اماكن راحتهم وعبادتهم ؛ وتأسيسا على ذلك ، فان أهمية العمارة ومنتجها تمثلان اهمية بالغة ؛ والمعرفة والاحاطة بهما ، والحرص على نموهما وتقدمهما وتطورهما ، يعد من الامور الاساسية الواجب مراعاتها وبدون معرفة حقيقية للعمارة ومنجزها ، وعدم القدرة على فهمها والاحاطة بها ، لا يمكن باي حال من الاحوال ، ان نتوقع تطورا ونماءا لها . وستظل الاخطاء تكرر نفسها ، وبالتالي ستكون العواقب وخيمة اقتصادياً وثقافياً ، وحضارياً. ويمكن لفعالية النشر المعماري ان تؤدي قسطا وافراً في ترسيخ متطلبات المعرفة بالعمارة وبالمنتج المعماري ، وهذه الفعالية هي فعالية مطلوبة وملحة ، لئما لا يمكن التغاضي عنها او اهمالها.

في كثير من دول العالم هناك نسبة مئوية بحدود 3 % من الناتج القومي مخصصة للابحاث ، واجراءات النشر المعماري يمكن لها ان تستفيد من هذه التخصيصات ، فيما لو طبق جزء قليل من تلك التوصيات ، لتعزيز دورالنشر في المجتمع . كما يمكن ان تقوم اتحادات المهندسين ، التى ينضوي المعماريون في تنظيماتها ، في هذا الجهد ؛ فضلا على تشجيع دور النشر الاخرى وتحفيزها بمختلف الوسائل المادية وغيرالمادية لتعزيز فعالية نشر المؤلفات المعمارية . وفي هذا المجال يمكن تفعيل اقتراح تكريم مؤلف الكتاب المعماري وناشره ايضاً ، بجوائز مناسبة تقدمها المؤسسات المهتمة بالعمارة على وجه الخصوص ، او تلك المساندة للجهد الثقافي ، بشكل عام.

[color=blue]س: العمارة تتألف من شقين رئيسين "إن صح التعبير" الشق الهندسي والشق الفني, أي من هذين الشقين تعتقد أن التعليم العمراني والمعماري في الوطن العربي لم يوفيه حقه بعد, والى ماذا ترجع الأسباب؟ [/color]

ج: ان جواب هذا السؤال يقتضي القاء نظرة ولو خاطفة ، على تاريخ التعليم المعماري في اوروبا ، والذي استل – حسب رأي – النظام التعليم المعماري العربي كثيرا من مناهجه واساليبه . ان هذه النظرة السريعة ، ربما تضئ جانبا من معضلات التعليم المعماري عندنا.
وكما تعلم ، فان التعليم المعماري في اوروبا بالسابق ، كان تعليماً فنياً مهنياً صرفاً ، وكان المعمار يتأهل من خلال حلقات فنية ومهنية صغيرة ، يقودها وينظمها احد اساتذة هذا الفن – العمارة ، وهذا " الاستاذ " او "المعلم " ، هو الذي يمنح تلاميذه " اجازة " المهنة ، بعد ان يمر" التلميذ" في سلسلة من الحقب التعليمية في " ورشة " استاذه ،التى يقضي فيها سنين عديدة ، يتعلم " المهنة واسرارها " في عمل يدوي يومي يشرف عليه " المعلم /" المتر . " وكان نظام التعليم المعماري ذلك ، يماثل اسلوب تعليم الفنون التشكيلية : الرسم والنحت ، على سبيل المثال ، من حيث وجود الحلقات الدراسية ، المتكونة من " الاسطة " وتلاميذه، تماما مثل ما كان سائداً ومتعارفا عليه منذ ما قبل عصر النهضة وحتى نهاية القرن التاسع عشر ! . وكثير من المعماريين المرموقين تأهلوا ضمن هذه المنظومة التعليمية ، حتى برز اسلوب " الباوهوس " التعليمي في عشرينات القرن الماضي ، الذي نادى لان يكون التعليم المعماري جزءا من متطلبات التعليم التقني ، بيد ان منهاج التأهيل فيه ينبغي ان يكون ايضاً حافلاً بمواضيع فنية.
وتسود الان مدرستان في التعليم المعماري ، احداهما ، يهتم برنامجها التعليمية بوفرة المعارف الهندسية ، والاخرى تميل الى المواضيع الفنية.
لا يمكن المفاضلة بينهما ، فكل مدرسة لها خصوصيتها، ولها بالطبع افضلياتها وسلبياتها . وثمة اختلاف واضح في مرجعية التشكيل الاكاديمي لتنيك المدرستين ، فمنها تتشكل ضمن كليات او اكاديميات الفنون ، مثل قسم العمارة في مدرسة الفنون الجميلة البوزار بباريس ، او المدرسة المعمارية الكوبنهاغنية التى اعمل بها في الوقت الحاضر ، اذ تتبع اكاديمية الفنون الجميلة ، وثمة مدارس معمارية في مصر كثيرة مؤسسة ضمن تشكيلات كليات الفنون ؛ والغالب في مناهج هذه الكليات غلبة المواضيع الفنية على المواضيع الهندسية والتطبيقية . لكن هناك اقسام معمارية هي جزء من كليات هندسية ، ووجود مثل تلك الاقسام ، يجعل من المواضيع الهندسية التكنولوجية اساساً لتأهيل المعمار ، بدلا من الاهتمام الفائض للناحية الفنية في عملية التأهيل . كما توجد مدارس معمارية مستقلة التشكيل الاداري ، اي كيانات ذاتية ، خاصة بها ، لا تتبع كليات الفنون الجميلة ، كما انها لا تتبع ايضا كليات الهندسة ، ويسعى واضعو برامجها الى ايجاد نوع من الائتلاف بين الفن والهندسة.
وايا يكن الامر ، فان لكل نوع من المدارس المعمارية خصوصيتها وغاياتها ، وتظل مبررات هذا النوع او ذاك من المدارس ، مرتهناً بالاستجابات الضرورية والمقنعة لمتطلبات المجتمع التى توفرها خصوصية كل مدرسة في صيرورة تلك المجتمعات وانتقالها من حال الى آخر . كما تظل القضايا الخاصة بديمومة مسار المدرسة المعمارية أياً كان اسلوبها ، وتراكم الخبر ، والتوق باتجاه التفرد التعليمي ، واحترام التقاليد الاكاديمية الرفيعة ، والنزعة نحو التميّز ، وتكريس الخصوصية ، هوالذي يجعل وجود هذا النظام او ذاك ، نظاما مناسبا ومبررا في الممارسة التعليمية المعمارية .

س: نرى الكثير من المعماريين العرب المسلمين يقومون بمهنة التدريس المعماري في جامعات غربية, كيف ترى مشاركاتهم في نشر العمارة العربية والإسلامية, وما هو دورهم في زرع الأسس والمبادئ العربية الإسلامية في الفكر المعماري العالمي؟

ج: هذا السؤال من الصعب الاجابة عليه بصورة قاطعة ومباشرة ، يمكن فقط وضع تصورات لفرضيات قابلة للنقاش والحوار ، بعيدا عن تمنيات متخيلة لواقع مفترض . فكثير من الذين يتعاطون مع العمارة الاسلامية ، تدريساً وتنظيرا في المدارس المعمارية الغربية > شأنهم شأن زملائهم في المنطقة العربية < ، يتعاطون مع مفهوم ، وكأن العمارة الاسلامية هي محض اساليب معمارية متنوعة ، انجزت في فترات تاريخية معينة ، ومنتشرة في مناطق جغرافية متعددة ؛ ودائما هي ... ماضوية ! . وهذا الفهم للعمارة الاسلامية بالطبع يعد فهماً احاديا وقاصراً في آن معاً ، لكنه ، مع الاسف ، هو الشائع ، و " الغالب " والمألوف في تعريفات العمارة الاسلامية .

وارى انه وليد افرازات ما يسمى " بالمركزية الاوربية " ، التى تمّ تفكيك استراتيجيتها ، عبر مقاربات فلسفية صاخبة شهدها الخطاب الثقافي والفلسفي في العقود القريبة الماضية .
ثمة مفارقة علمية يحسن لنا ان نشير اليها ، ونحن بصدد تأسيس فرضيات جديدة ، استجابة للسؤال المهم المطروح ، وهي ان غالبية مناهج تدريس العمارة الاسلامية في الجامعات الغربية ، مهتمة ليست بالعمارة الاسلامية " كمنجز" معماري قابل للنمو ، والتفاعل والتكامل وحتى الاختلاف ، بقدر ما هي تولي اهتماما الى" تاريخ " العمارة الاسلامية ، والفرق كبير في كلا المنهجين وادواتهما . فالتعاطي التاريخاني لمفهوم العمارة الاسلامية ، هو الذي يجعل من مؤرخي الفن ، اساتذة متحدثين ، وحتى قيمّيين على العمارة الاسلامية . وهذا ، في اعتقادي ، خلل كبير دام سنين ، ولم يلتف اليه احد . علماً بان انصار مفهوم المقاربات التاريخانية استطاعوا ان يؤسسوا لانفسهم ولنهجهم قواعد متينة انهمكت في مسعى تحديد مفهوم ، ومجال ، ومسار، وتطور العمارة الاسلامية ، واقاموا " جهازا " مؤثرا ومتطورا بعقدوره الان ان يرفد الوسط الثقافي والمعماري بخريجين مناصرين لتلك الرؤى والطروحات اياها .
ولعل ما نقرأ من اصدارات ، وما نسمعه من مناقشات وندوات لاساتذة العمارة الاسلامية ، سواء كانوا عرباً ام اجانب العاملين في الجامعات الغربية ، يؤكد ما ذهبنا اليه ، فالكل مهتم في الطرز والعناصر المعمارية ، ولكن في ضوء المفهوم التاريخاني ، اي الحدث المرتهن بتاريخه ،المؤسس لقطيعة تامة مع كل ممارسة معاصرة . كما نلاحظ الغاء تام لكل ما هو منجز حديثاً في العمارة الاسلامية ، او في احسن الاحوال ، التغاضي عن هذا المنجز الحديث ، واعتباره منجزاً ، لا يمت الى العمارة الاسلامية بصلة . واحيانا ، يتم تناول بعض الانجازات التى يقوم بها المعماريون العرب والمسلمون ، >محاولات حسن فتحي ، تحديدا < بيد ان هذا التناول ما انفك يرى تلك المنجزات وفي ضوء تلك المناهج ، محض ممارسة فولكلورية ، ترأى بها بعيدا عن مفهوم الانجازات الحقيقة والمؤثرة في مشهد الممارسة المعمارية العالمية الحديثة. !
والمطلوب تغيير معرفي / ابستمولوجي سريع لرؤى العمارة الاسلامية واعادة قراءة لمفاهيمها ، تلك المفاهيم الخاصة والمبتورة ، التى شاعت في اوسط اكاديمية غربية عديدة ، والنظر بجد الى تداعيات ذلك الفهم وتأثيراته على المناهج التعليمية الجامعية عندنا . كما يحسن التعاطي مع ظاهرة العمارة الاسلامية كونها ظاهرة قابلة للدرس والتحليل ، وبالتالي النظر الى مسار انجازها ، وتعقب صيرورتها كجزء من مسار العمارة العالمية وصيرورتها . ومن خلال هذا الفهم للعمارة الاسلامية ، يمكننا لنا ، ولاساتذتنا في الجامعات الغربية ان نرسي مفهوما شاملا لتلك الظاهرة الفريدة من الممارسة المعمارية المفعمة بروحية المكان وذات القيم الخاصة ، والتى ندعوها " العمارة الاسلامية . "

صورة مع طلبة قسم العمارة في جامعة بغداد في عام 1993 في احدى الزيارات الميدانية لمبنى مهم في تاريخ العمارة العراقية وهو مبنى جامعة آل البيت في بغداد

س: خصوصية المبادئ الإسلامية...هل أعاقت تطور العمارة الإسلامية؟ وهل يمكن اعتبارها تقييدا للإبداع المعماري؟

ج: اعتقد ان هذا السؤال ، هو سؤال فائق الاهمية ، سواء بالنسبة الى المهنيين المعماريين ، او المهتمين بالعمارة ؛ والاجابة عنه ،طبعا ، مختلفة ، تحمل في ثناياها خلفيات المجيب ورأيه في المشكل المطروح.
ثمة قطيعة لا يمكن نكرانها او تجاوزها ، بين مفهوم العمارة الاسلامية ، المفهوم الذي دأب الجميع على ادراكه كمفهوم " ماضوي " ، ينبع من منابع تاريخية سحيقة ، وبين الممارسة المعمارية المعاصرة . واشرت يوما ، في احدى مداخلاتي ، بان العمارة الاسلامية هي مجموعة قيم ، وليس مفردات محددة : ثابتة وساكنة ؛ وعندما نصل الى هذه النتيجة ، يضحى امرتأويل تلك القيم ّ ، امراً منوطا بثقافة المصمم او المتلقي واجتهادهما ، وبالتالي فان اعادة قراءة تلك القيم بالتوائم مع سياقات الممارسة المعمارية المعاصرة ، من شأنه ان يثري الخطاب المعماري الاقليمي اولا ، و العالمي في الاخير ، واعتقد بان بامكان المعماريين العاملين في البلاد الاسلامية القيام في هذه المهمة على احسن وجه. !
وانطلاقا من هذه الفرضية ، فلا ارى سبباً لان يكون الابداع المعماري المعاصر مكبلا بمفردات بعينها ، مستلة من مبانٍ قديمة ، سبق وان اجتهد معماريوها واشتغلوا كثيرا على تشكيل صياغاتها " الفورماتية " ، طمعا للتذكير بالمكان .

س: هل الثورة التكنولوجية واستخدام الحاسب الآلي في الإخراج المعماري والمنظور أثر إيجابا أم سلبا على تطور العمارة وتذوقها؟ وما هو الاستخدام الأمثل لها من وجهة نظر خالد السلطاني؟

ج: يلوح لي ، بان الناتج المعماري رهين تصورات قَـبَلية ، او بالاحرى ان ذلك الناتج ما هو سوى استحضار لـ " اميج "/ صورة ما قَـبَلية، محفوظة في واسطة ما تذكرّية ! .. بمعنى ان المنتوج المعماري ، يماثل بشكل وبآخر " الصورة " التى كان عليها في " مخيلة " البنائيين. واضيف على ذلك ، بالقول : كيفما تكون تلك " الصورة " يكون الناتج المعماري ... لا ادعي بان هذا امرا حتمياً ومحسوماً ؛ لكني اعتقد في ذلك. !
اوضح اكثر..
عندما نرى نوعية الصنيع المعماري ، نقّدر كيفية واساليب تجسيدات ذلك الصنيع في صيغيته " المابعد قَـبَلية " ، واذا " شككنا " بعدم وجود تلك الصورة " الاميج " المفترضة ، تكون المحصلة ، اقرب الى الناتج " الشفاهي " ؛ والتساؤل الذي سيرد مباشرة وهل ثمة عمارة " شفاهية " ؟ . والجواب :
-نعم ، انها " العمارة " التى تبنى من دون " تخطيط " ، او بالاحرى من دون اعداد "رسم تخطيطي " مسبق لها ؛ انها تشيد وفقاً لتداعيات آنية ، تفرضها طبيعة الممارسة ، و " فنتازيا " البناء / المعلم " المرتجلة " ! . في حين يكون الناتج المعماري " الناضج " نتيجة اعداد تخطيطات مسبقة قبلية ، وربما اعاد البناء الرسم مرارا ، ليستقيم وضوح " الصورة " الما قبلية لناتج العمارة المستقبلي!
عموماً ، ارى ، بان اسلوب تحقيق " الصورة " الافتراضية للعمارة ، يفضي في الاخير الى نوعية العمارة المنتجة : اذا كانت " مشغولة " يدوياً ، ومن خلال عدد وادوات قليلة ، عبّر ناتج العمارة عن نوعية ذلك الاشتغال ؛ واذا تم اعدادها عبر استخدام ادوات متطورة ، ينتج عنها " صنيع " معماري متطور.
عندما ارى نوعية العمارة المنتجة اليوم ، احس بانها " مشغولة " بايادي غير " بشرية " وبعيدة جدا عن "الحرفية " اليدوية الانسانية ، التى لازمتنا كممارسة ، آمادا طويلة . وهذا بالطبع لا يقلل ، باي حال من الاحوال ، من اهمية وقيمة المنتوج المعماري المعاصر ، الذي يفترض به ، ان يعكس بامانة ، امكانات ووسائل التقدم التكنولوجي الراهن .
ربما ، قد لا يشاطرني القاري / المتصفح ، في صوابيّ هذه الادعاءات ، بيد اني ، عليّ ان اعترف ، بان ذلك هو ما احس به واشعر بوجوده .

يعتبر البعض أن العمارة التفكيكية نوع من الجنون ، مارأيك في العمارة التفكيكية؟

ج: اشم تهكماً ، مشوبا بالسخرية من طريقة صياغة السؤال ، كم ارى تقييماً مسبقاً لرأي يتعاطى مع مقاربة معمارية ،شأنها شأن مقاربات معمارية عديدة حظيت بتقبل ايجابي من قبل المصممين ، ونقاد العمارة في الفترة الاخيرة.
بالطبع ليس مهمتي اقناع الاخرين في صوابية هذا الطرح المعماري او ذاك ، لكني ارى من المفيد جداً الاطلاع على خلفيات ظهور تلك المقاربات المعمارية التى يمور بها الخطاب المعماري المعاصر . ومن دون الاطلاع ، ومن دون المعرفة ، سنخلق لانفسنا، و بارادتنا ، سداً منيعاً بوجه تدفق المعرفة والمعلومات التى تنتشر الان بسرعة ، وفي اوساط واسعة في جميع اركان العالم .
لايمكن ، بالطبع ، اقتصار الاجابة عن هذا السؤال بكلمة واحدة او كلمتين ، سواء كانت تلك الكامة " جنوناً" ام " غير جنون " – لكن السؤال يثير قدرا كبيرا من النقاش حول مدى معرفتنا واطلاعنا عن ما يدور الان ، في الوسط المعماري من اتجاهات وحركات معمارية . والمعرفة بهذاه الانشطة أمر لابد منه ، حتى يتساوق نتاجنا العربي المعماري ، مع ما

يدور في الورشة " المعمارية العالمية المجاورة ، او ليس ، " المعرفة ضالة المؤمن "؟.
وكما قلت فليس نيتي الدفاع عن هذا الاتجاه او ذاك ، لكني اود ان احيل جواب هذا السؤال الى قراءة صفحات كتابي الجاهز للطبع وهو " قرن من الزمان ، مئة سنة من عمارة الحداثة " ، الذي تناولت في الفصل الرابع فيه / منجز عمارة مابعد الحداثة بشكل عام ، والعمارة التفكيكية بشكل خاص . وبامكان القارئ / المتصفح ان يتجاوز قراءة هذه الصفحات ، اذا اقتنع ، بان ما يدور الان في المشهد المعماري العالمي غير جدير بالاهتمام والمتابعة ، وان ذلك ربما ، فعلا محض جنون ؛ اما اذا كان لديه قناعات اخرى ، تتطلع بجد الى فهم وادراك ما يحصل ، فربما تفتح كلمات تلك الصفحات مجالا آخرا ، مجال غير معروف ، وغير معلوم ، بيد انه في كل الاحوال مجال معرفي جدير باكتشافه ومن ثم محاولة مناقشته ، لتعددية الطروحات الواردة فيه.
في الفصل الرابع من الكتاب ، اياه ، اتناول ظاهرة عمارة ما بعد الحداثة ، كمخل الى ظهور التيارات المعمارية الجديدة ، وبضمنها العمارة التفكيكية . وفي ادناه الفقرات المستلة من الفصل ، والخاصة بعمارة مابعد الحداثة ، يليها فقرات اخرى تخص العمارة التفكيكية:

...)انطوت الفترةالاخيرة من النشاط المعماري العالمي المعاصر ، على جملة متغييرات جذرية طرأت على الممارسة المعمارية ، وعلى " مفهوم " العمارة ذاتها ، ممارسة و مفهوم جديدان ، لا ينتميان كثيرا الى ما كان مألوفا وشائعا في السابق . ولم يتسم النشاط المعماري المعاصر على قطيعة واضحة عن ما سبقه فحسب ، وانما انطوى ذلك النشاط على سبر اغوار وافاق ثقافية غير معلومة وغير معتادة في الطرح المعماري او مفاهيمة وتجلياته . وهذه المرحلة من المتغيرات الجذرية المعمارية التى نتكلم عنها ، هي بالطبع وليدة متغيرات كثيرة ومتعددة المستويات شملت فروع المعرفة الانسانية بكل تنوعها واختلافاتها .
ولئن اتصف مسار التطورات المعمارية السابقة على نمّ ّو انسيابي وتدريجي ، ليفضي في الاخير الى اساليب واتجاهات معمارية متباينة ، لكنها ظلت تحتفظ بمرجعية قيمية متماثلة ، فان التحولات التى آلت اليها المقاربات المعمارية المعاصرة لا تمت كثيراً الى تلك القيم والمبادئ التى انتمى اليها النشاط المعماري السابق ، كما ان نوعية الطروحات ذاتها اتسمت على " طفرات " اسلوبية حادة.
ويشبه احد النقاد المعماريين مثل الاحداث التى شغلت العمارة المعاصرة واساليب تحولاتها وآلت الى مفاهيمها الجديدة ، كمثل شخص راكب سيارة ، تجوب به في طرق مختلفة من ارض مستوية الى مناطق متموجة ، وآخرى جبلية ؛ لكن السيارة تظل في الاحوال كافة ، صالحة لانجاز مهام السير في تلك الطرقات ، الى ان يعترضها نهر – يقتضي عبوره تغيير وسيلة الركوب والانتقال من السيارة الى وسيلة عبور اخرى الى ما يشبه الزورق ، او السفينة لتحقيق مهام العبور ؛ فالاساليب والحركات المعمارية المعاصرة هي الان بمثابة زورق ، لا علاقة له بتاتا بما كان مألوفاً ومستخدما في السابق .

قد يبدو المثال السابق منطو على مبالغات واضحة ، بيد ان مما لاشك فيه ، بان مجمل ما حصل في الممارسة المعمارية المعاصرة اتسم على متغيرات جذرية سببها التبديل الذي طرأ على مفهوم العمارة ذاتها . فبينما كان الهدف الاساس للنتاج المعماري على مدى قرون هو الاقتراب اكثر فاكثر من مركز العمارة ، وادراك القضايا الاساسية النابعة منها ، بدأت العمارة المعاصرة بتوسيع اهتماماتها ، متأثرة بالتحولات الحاصلة في حقول المعرفة الاخرى ، بعبارة ثانية ، ثمة تحول حصل في التعاطي مع العمارة من محاولة ادراك دواخلها ، ومركزيتها ، الى محاولات فهم حدودها وتخومها ، ووفق مؤلف كتاب " الجماليات المعمارية الجديدة " ، فان " الفعالية المعمارية ما هي سوى شكل من اشكال المعرفة، حالها حال الرياضيات والفيزياء والادب، ولتوسيع شكل المعرفة هذا ، ينبغي النظر الى علاقاتها بالانظمة الاخرى ، ذلك لان العمارة لا تستورد قيم معينة من انظمة اخرى ، انها تصدر لها قيمها .. ايضاً(. "

....)يشار الى كتاب " روبرت فنتوري (Robert Venturi "- 1925 (-التعقيد والتناقض في العمارة "(1966 (< Complexity and Contradiction in Architecture>، كحدث مهم في مجرى التطورات التى شهدتها الممارسة المعمارية المعاصرة ، اذ عدّ نص ذلك الكتاب كمؤشر واضح لميلاد مفاهيم نظرية جديدة ، تخالف وتعارض المناهج المعمارية السابقة وتطبيقاتها البنائية . فالكتاب المكتوب بلغة اكاديمية رصينة والمنطوي على تحليل نماذج معمارية كثيرة ، مستقاة من تطبيقات الممارسة المعمارية الماضوية او من الممارسة الحديثة ، هذا الكتاب يسخر من محدودية التعاطي مع مفاهيمية العمارة السائدة في الاوساط التصميمية المعاصرة ، وبالاخص من الثنائيات او بالاحرى من المقابلات الثنائية التقليدية ، والفرز الاحادي ونقاء الانتماء الاسلوبى ؛ منادياً في كتابه الى اهمية التعاطي مع اطروحة تصميمية جديدة اختزلها بحرفي "عطف" هما" > : و" و " او < " ، طارحا فكرة تصميمية جديدة تعتمد على مبدأ تجميع الاشياء بدلاً من التعاطي مع فكرة التفاضل فيما بينهما ؛ " و " الجديدة ، بدلاً عن التمسك بموضوعة " او" السابقة ، ، اذ وضع " فنتوري " جوابا لتساؤل قائم "بانه يحب هذا > و <ذاك " من العمارة بدلاً من الاطروحة السابقة " اما هذه > او < ذاك .." ، فالقضية في نظره ليست خيارا مابين ابيض او اسود ، وانما يكمن في محصلة امكانيات الجواب الذي يمكن ان يكون : ابيض> و <اسود ، .. ورمادي ايضاً ، واذ طبق " روبرت فنتوري " طروحاته على العمارة وصل الى نتيجة اساسية بان كل ما انتج سابقا ، وما تعودنا عليه ، وما الفناه ، هو بسبب هذه الـ" أو " بدلا من الـ " و " ، الامر الذي ادى لان تكون عمارتنا احادية المعني ، نقية ، ووظيفية ،وبالتالي فان معالجات وحلول تلك العمارة اتسمت على قدر كبير من الانقطاع والغربة والتنصل عن مشاكل الحياة واساليبها المعقدة

والمتناقضة ، وعن طريق التعقيد والتناقض ربما تحل اشكالية العمارة المقطوعة الصلة عن الواقع المعاش (.... !

...)شهدت السنين الاخيرة انتشار تطبيقات عمارة ما بعد الحداثة بكل مقارباتها التصميمية وتكريس تلك المقاربات في الخطاب المعماري العالمي ، كما شهدت تلك الفترة نزوعاً واضحاً في تبلور قيم تلك العمارة ومبادئها التصميمية ، بعد ان كان الغموض والالتباس يلفا ن تلك المبادئ والقيم في بدء ظهور عمارة ما بعد الحداثة.
كما يلاحظ في الفترة الاخيرة تعزيز دور النقد المعماري وانتشاره في اوساط ثقافية واسعة ، وقد حاولت المتابعات النقدية تبيان الاختلاف والتباين بين منطلقات عمارة ما بعد الحداثة عن تلك الممارسات التى زخرت بها الفترات السابقة وبضمنها عمارة الحداثة.
ويعتبر المعمار بيتر ايزينمان (Peter Eisenman 1932(واحدا من المعماريين المعاصرين الممارسيين الاكفاء ، والمهتمين ايضا في نظريات تحليل وتفسير عمارة ما بعد الحداثة واضاءة منجزها التصميمي ، ولاسيما في تجليلتها التفكيكية – Deconstruction وهو اسلوب تصميمي له حضور مميز الان في المشهد المعماري المعاصر.
يذكر " ايزينمان " في كتابه الممتع (Working Eisenman) ؛ والصادر عام 1995 في لندن ، بان النشاط المعماري ظلّ لقرون تحت تأثير ثلاثة تصورات ، يدعوها اللمعمار بـ " الاوهام Fictions – " وهي :
-1وهم التمثيل Representation
-2وهم المنطق Reason
-3وهم التاريخ History

وعلى الرغم من أن عمارة الحداثة حاولت دائماً التأكيد على تبيان قطيعتها النظرّية مع مرجعيات القيم التى راجت قبل ظهورها ، فانها وفقاً لـ " ايزينمان " ظلت اسيرة تلك الاوهام . ويسعى المعار ، في كتابه انف الذكر ، الى الاشارة بما " يمثله " كل وهم من تلك الاوهام الثلاثة؛ فتحت مفهوم " التمثيل " يقصد " ايزينمان " بان العمارة حرصت ان تكتسب قيمتها من خلال " تمثيلها " لعمارة اخرى سابقة لها ، ففي عصر النهضة مثلا ، سعت العمارة لتمثيل منظومة العمارة الكلاسيكية القديمة الاغريقية والرومانية ، على وجه التحديد ، واذ يشير " ايزينمان " بان مفهوم الممارسة المعمارية قبل عصر النهضة كان يمثل معناها ، فان ما وسم عمارة الحداثة هو محض " تمثيل " ايضاً ، لكنه تمثيل من نوع خاص ، على الرغم من " تبجح " تلك العمارة بتحررها من وهم " التمثيل " ، وتكريس القطيعة الابستمولوجية بينها وبين ما كان معروفاً في السابق وبعبارة اخرى فان المبنى بدأ وكأنه يعرض رسالة ، وليس معنى.
وفيما يخص الوهم الثاني – وهو وهم المنطق ، فيرى ايزينمان " بان المنطق كان دائما يعني مفهوم الحقيقة ، ذلك المفهوم الذي يدرك من قبل العلم ، واذ اهتمت العمارة في عصر النهضة بتحديد مفهوم التلؤين Composition كمنظومة بامكانها ادراك الانسجام والاتساق والنظام ، فان عمارة الحداثة سادها " منطق " آخر ، منطق يعتمد اساساً على نتائج عمليات العلوم والرياضيات والتكنولوجيا ، والذي بمقدوره ان ينتج موضوعا معماريا صداقاً وذا معنى . وكلما كانت العمارة عقلانية ، كلما اقتربت اكثر من تمثيلها للحقيقة ، بمعنى اخر ، امست العقلانية عتد انصار عمارة الحاثة ، بمثابة مرجعية اساسية لعلم الجمال والاخلاق ، اللذان يتأسس عليهما النشاط المعماري . ثم حصل التغيير الجذري الذي واجه المنطق ذاته ، وبدأ يشكك في فرضياته وامكاناته في ادراك الحقيقة ، ووصل " المنطق " لحافة الاعتراف بان قيمة العمارة ماهي سوى تمثيل لموضوع مشتق من مصدر خارج العمارة نفسها ؛ وان الايمان بالمنطق بهذه الصورة قوض من قوة البداهة ، مما جعله > اي المنطق < غير قادر على ان يأتي بشي مما وعد به العقل ، وهواظهار حقيقة اصلا ، وبالتالي فان العمارة لم تجسد المنطق كما كان يعتقد انصار عمارة الحداثة ، بل انها حاولت ذلك فقط ، وبالتالي ، فليس من ثمة صورة Image معمارية للمنطق!

وبصدد الوهم الاخير ، وهو : " وهم التاريخ " ، فيشير " ايزينمان " ، بان العمارة كمنتج انساني ، كانت دائماً تواقة لحضور الخلود Timelessness في نشاطها التصميمي ، بعبارة اخرى ظل المعماريون يتكأون على التاريخ كمصدر للخلود ، وعندما نادت عمارة الحداثة بشعارات " القطيعة التاريخية " كأساس لمنطلاقاتها التنظيرية ، مستبدلة المناخ التاريخي الكلاسيكي الطاغي على الفعل المعماري السابق لها ، باجواء المعاصرة المعتمدة على قيم جمالية جديدة مثل اللاتناظر مقابل التناظر ، الدينامكية مقابل الاستقرار ، اللاتدرج مقابل التدرج ، الخ ..بيد ان عمارة الحداثة باستحضارها > لروح العصر < كبديل عن التاريخي - الكلاسيكي ، استمرتبالعمل ضمن اطروحة الشكل المعماري المميزّ تاريخانياً ، بمعنى اخر لم تحدث عمارة الحداثة ، ذلك " الانقطاع " المتخيل للتاريخ ، بل انها ، واقعاً " ما فتأت متمسكة بيتل الاطروحة ، من دون ان تعي بان نشاطها ما هو الا فترة من سلسلة متصلة من فترات تاريخية ؛ كما ان انصار عمارة الحداثة لم يكن بمقدورهم ان يدركوا هذه الحقيقة ، لانهم ببساطة كانوا تحت تأثير " وهم " خلود وابدية عصرهم- عصر الحداثة.
في نهاية القرن العشرين ، عندما باتت الحداثة تاريخاً ، كما يشير الى ذلك" ايزينمان "تم ادراك عدم قابلية عمارة الحداثة للتعبير عن عصرها كعصر خالد وابدي ، ذلك لان تمثيل روحية العصر يفترض رجوعاً للماضي لاستحضار الخلود كتعبير عن الزمن الحاضر . ومن استفهام كيف يتسنى لنا ضمن الاشتراطات التاريخية ان حقيقة خالدة وابدية لروحيته ، يتوقف التاريخ كونه مصدرا موضوعيا للحقيقة . من هنا ، يستخلص " ايزينمان " احدى نتائجه المثيرة للجدل ، من انه ليس ثمة ضرورة انتاج عمارة ذات نفس كلاسيكي ، خالد بالعودة الى القيم الكلاسيكية لمفهوم التمثيل ، والمنطق ، والتاريخ!

ويؤكد " بيتر ايزينمان " بان عمارة الحداثة رغم جدة التصورات والهيئات التي اتت بها والدعوة الى احداث تغييرات جذرية في برنامجها الاجتماعي ، لم تحقق " القطيعة " التى ادعتها ، وانما بقيت ضمن مفهوم الاستمرارية الكلاسيكية ذاتها ، وبينما اختلفت الاشكال ، فان الاسلوب الذي مثلت بها تلك الاشكال بقيت محصورة في تقاليد العمارة الكلاسيكية ، ولهذا يدعونا " ايزينمان " الى ضرورة مواصلة السير في هذا الاتجاه ، وخلق عمارة بعيدة عن اشتراطات النموذج الكلاسيكي ومحدداته ، عمارة يدعوها هو نفسه " بالعمارة اللاكلاسيكية. Non-Classical " وضمن هذه الؤى الجديدة وغير المسبوقة ، يتطلع ايزينمان ومعه معماريو ما بعد الحداثة، ولاسيما انصار العمارة التفكيكية، الى احداث التغيير ، التغييرالذي يشمل كل شئ بدءا من متطلبات العمارة والى شكلها وقواعدها وصولا الى اهدافها ، ومنه ، من التغييرالذي استطاع ان يغطي بظلاله اجناس الابداع المختلفة كالاداب والموسيقى والفن والسينما ، يسعى التفكيكيون الى ازاحة Displacement العمارة من موضعها ، على الرغم من صعوبة هذا الاجراء وتعقيد النتائج المترتبة حوله ؛ بيد ان اصرارهم ونزوعهم لجهة تكريس اطروحة المؤائمة بين الناتج الابداعي وخصوصية العصر ، وما يتسم به من تغييرات مذهلة سهل من عملية قبول تصوراتهم واكتشافاتهم في حقل التصميم المعماري المابعد حداثي .واذ يعترف التفكيكيون بان جوهر فعالية العمارة هي في الاستقرار والتموضع Locate ، فان العمارة المستقبلية ، كما يراها " ايزينمان " ستعمل تحت مظلة ظاهرة المفارقة المعرفية ،فالامر يخص نزع شيئاً من موضعه ، هو بالاساس متموضع..... (."To dislocate that which it locates") !

واترك القارئ / المتصفح ، الان ، ليقرر ويختار جوابا مناسبا للسؤال المطروح !

يتبع - لاستكمال المقابلة ، واصل القراءة ...

تحرير | اقتباس

الكاتب: فيصل الشريف	حرر في 2005/ 05/ 26 : م

عضو جديد | التسجيل : 24 /10 /2004 م | المشاركات : 24

استكمال مقابلة الدكتور خالد السلطاني

[color=blue]س: في كتابك "رؤى معمارية" تحدثت عن اللغة المعمارية وتنوعاتها ، هل اللغة المعمارية متغيرة ومتجددة ، ام انها ثابتة والمتغير هو المستخدم؟[/color]

ج: بالطبع انها متغيرة ومتجددة ، كتغير " متطلبات " المستخدم.
انها متغيرة ، لانها نتاج مقاربات معمارية متنوعة خاصة بمصمميها ؛ فصنيع المقاربة الوظيفية لثيمة محددة ، تختلف عن نتاج غير الوظيفية ، انها بالقطع متباينة عن طروحات الفهم العضوي او التعبيري او الاقليمي ، كما ان اللغة المعمارية الحديثة هي غير الكلاسيكية ، وهي تختلف قطعاً عن منطلقات عمارة مابعد الحداثة ، وهكذا .. اي ان العمارة ولغتها تتغير وتتجدد طبقاً " لمرورها " عبر تعاطيات متنوعة ، تعود بمرجعيتها الى تنوع ثقافة مصمميها المتأثرة في معطيات الزمان والمكان .
كما يتعين القول ، بان ثمة " تغييرات " جديدة طرأت على تحديد " العناصر " التى شكلت سابقاً مقومات حالة التغيير والاختلاف ، وامسى " الثابت " الذي قيم ، باقتدار ، نفسه في السابق ، كونه عنصرا راسخاً ، امسى اليوم " متغيراً " خاضعاً لتبعات وتداعيات ذلك التغيير.
كنا لوقت قريب ، نثق بان الناتج المعماري ، على سبيل المثال ، هو وليد تأثيرات " ثابتة " و " متحولة " . وكنا نعزي حضور الثابت الى الظروف المناخية الدائمة والمستقرة ، والى كذلك نوعية الطبيعة الجغرافية المحددة للمكان ، ثم استخدام المادة الانشائية الشائعة والمألوفة في هذه المنطقة او تلك الخ ... ، كما كنا نشير الى التغيرات الثقافية والتقنية التى تتأثر وتتأسس بتغييرات الوضع الاقتصادي والاجتماعي ، ومدى رسوخ التقاليد البنائية ، ، فضلا عن وجود معماريين متميزين في منطقة محددة ، الخ... كمقومات للعناصر المتحولة.
اما اليوم ، فان الناتج المعماري لا يمكنه ان يرتهن بتلك التحديدات . فالثورة العلمية – التكنولوجية ، تضع بصماتها على كل شئ وتغيره ، طبقا لتأثيراتها عليه ، بضمنه الناتج المعماري ، الذي يتغير هو الاخر على وقع متوافق مع طبيعة تلك التأثيرات . وما نلاحظه من " اختراق " لتحديدات " المناخ " في عمارة المناطق الحارة ، لدليل على عدم كفاءة تلك المحددات اليوم .
واخيراً ، فان " متطلبات " المستخدم ذاته ، المتجددة والمتطورة ، تفرض على البيئة المبنية ايجاد ما يناسبها من تجديد وتطوير . واذ كان امرا شائعاً الى امد قريب ،لافراد عائلة " العيش " تحت خيمة واحدة ، فان افراد ذات العائلة الان يطالبون ، وهم على حق ، ان يكون لهم مأوى بفضاءات عديدة لاستخدامات

متنوعة . هذا فضلا عن ما يفرضه ايقاع الحياة المتجددة من لزوم وجود فضاءات عمل وراحة لم تكن معروفة في السابق ، الامر الذي يفضي في الاخير لان يكون نسيج البيئة المبنية ، نسيجاً مختلفا ومغايرا ومتطورا عن ماكان مألوفا سايقاً.

س: يزخر العراق بالمعماريين المتميزين ، منهم المعروف كالجادرجي ومكية وغيرهم الكثير ، ومنهم غير المعروف كعبدالله إحسان وهشام منير وغيرهم الكثير ، لماذا يزخر العراق بهكذا متميزين ، وهناك أقطار عربية لا نكاد نسمع فيها معماريا واحدا متميزا؟

ج: شكرا ،مرة اخرى لهذا السؤال ، وكعراقي اشعر بالامتنان لك على ما تفضلت به فيما يخص المعمارين العراقيين.
واود ابتداءا ، ان اشير بان المعمارين العراقيين ، ومن خلال متابعتي واهتمامي الاكاديمي بهم ، كانوا يمثلون عنوانا لاعمار بلد مفتوح مفعم بالامال ، والحافل بمشاريع تنموية كبرى ، لكن مسار العراق السياسي المضطرب والمأساوي ، دفع باعمال المعماريين العراقيين المعاصرين لان يكونوا في دائرة مظلمة من النسيان والتجاهل من قبل الانظمة الحاكمة التى توالت على حكم العراق في الفترات الاخيرة .

س: ماذا تقول في كل من:

زها حديد - :معمارية مبدعة ، لا يضيرها ان تضع رجلها في عشرينات القرن الماضي ، والرجل الاخرى في مطلع القرن الحادي والعشرين. !

رفعت الجادرجي - :احد مؤسسي العمارة العراقية المعاصرة ، عمارته انعكاس لنتاج الفكرالمعماري العالمي الحديث ، مع محاولات جادة لتطويع ذلك الانتاج اقليمياً.

راسم بدران - :معمار مبهور بتقصياته الشكلية ، عن" مبادئ " العمارة الاسلامية ، ويحاول اقناعنا بلغة معمارية متميزة ، مفعمة بالدهشة ، بصوابية تقصياته.

حسن فتحي - :صاحب مشروع معماري جديد ، متشكل من > السياق < و > التناص < ، لم يكن عالماً ، حسب اعتقادي ، بفائض التناقض الجاري بينهما ، وتركنا امام خيار واحد ووحيد : اما الانتماء الى طروحاته ، او رفضها ؛ فلا السياق المتمثل في هذه العمارة يقبل الاضافة ، ولا التناص المقترن بالسياق بامكانه الحث على التطوير. !

محمد مكيه - :عمارته : تنويعات لثيمة واحدة ، ثيمة وجدها في المكان الصحيح ، والزمان الصحيح ، غير انها لا يمكن ان تكون صالحة لكل الامكنة والازمنة.

جعفر طوقان - :توق واضح لادراك صحيح للمنجزالمعماري ، بصفته منتجا معاصرا ، وشاهدا موثوقا به لذلك العصر !

هشام مني- :الرصانة المعمارية المتسمة بمهنية عاليه ، بيد ان منجزها يربكنا لجهة تحديد مرجعيتها التصميمية. !

قحطان المدفعي - :معمار لمنتج تصميمي ، لم يأخذ حقه من الدرس ، اتسم نتاجه على تعبيرية مفرطة ، لكنها جديدة في الخطاب المعماري العراقي والعربي في آن.
احسّ ان ابداعه كان يسير بخط مائل ، اعلى نقطة فيه : السنين الاولى من ممارسة المهنية .

س: مارأيك في العمارة العربية المعاصرة؟ وكيف ترى السبيل لتطويرها؟

ج: يصعب الجواب على هذا السؤال ، لسبب بسيط بانني ، ومعي الكثيرين ليس عندنا تصوراً واضحاً وكاملاً عن منجز العمارة العربية المعاصرة كي يمكن للمرء ان يبدي تقييما موضوعيا.ً واذ يجتهد البعض في الادعاء بانه على علم لعمارة مناطقية او اقليمية ، بذاتها من مناطق واقاليم العالم العربي ، فان

الاحاطة الكاملة والشاملة لذلك المنجز ، يظل عصياً على الكثيرين ، بضمنهم انا ، الشخص المطروح عليه السؤال .
بيد ان معرفتي الدقيقة للعمارة العراقية ، وانجازات عمارة المشرق العربي ، واطلاعي على بعض ما تم تحقيقه في عمارة المغرب العربي ، فضلا على اطلاعي السريع لعمارة السودان ، تؤهلني للقول ، بان منجز العمارة العربية المعاصرة ، هو منجز حقيقي ومهم في الخطاب الثقافي العربي . فالعديد من المعمارين المجديّن ، ولاسيما في دول الخليج والمغرب ، يتساوق نتاجهم مع نتاج خيرة ما افرزته الممارسة المعمارية العالمية . وهذا بحد ذاته يعتبر امرا مفرحاً ويبعث على التفاؤل .لكننا ودننا ان تكون القضايا المهنية المثارة من قبل المصممين العرب ، هي قضايا نوعية ، تصب بالنتيجة في تحقيق بيئة مبنية سليمة وحديثة ، تسعى الى ايجاد اجابات مقنعة وناجعة للتساؤلات التى يطرحها مسار التغييرات السريع الذي تمور به المجتمعات العربية اليوم . بمعنى ان تتجاوزالعمارة العربية المعاصرة " نخبويتها " ، وان تنزل من علياءها الى نبض الواقع، وقضاياه الحقيقة.
واتوق لان ارى منجز العمارة العربية المعاصرة متميزا ً ، كما اتطلع الى رؤية هذا التميّز مرتهناً بنوعية الاستجابات للمشاكل التى يفرزها حراك المجتمعات العربية . باختصار شديد ، لا تزال امام العمارة العربية المعاصرة فرصاً متاحة كثيرة لتثبت بانها جزءاً من مسعى تجديدي وتغييري ، يهتم في النتيجة بتوفير اسباب الراحة للسكان ، ويلبي تطلعاتهم المشروعة في العيش ببيئة مبنية صحية وسليمة وحديثة .
في كثير من الحالات ظل منجز العمارة العربية المعاصريراوح في مكانه ، المكان الذي يستدعي حضور " عمارة لاس فيغاس " ، اي العمارة المتأسسة على الغرابة " الفورماتية " ، والمثيرة للدهشة البصرية ، وغالبا البعيدة عن اشتراطات الواقع ومتطلباته . فـ " درس لاس فيغاس " الذي يدعونا له " روبرت فنتوري " ليس هو المسلك التصميمي الصحيح دائما ، الذي يناسب مناخات بيئتنا وظروف واقعنا ؛ والحق ان مانراه ، الى جانب ، بعض النجاحات المهمة للمعمارين العرب التى اشرنا اليها توا ، نوعا آخرا،> وشائعاً مع الاسف < ، من المنتج المعماري " المهرول " وراء احراز " المتعة " البصرية لذاتها ، والاقتصار على ه ذه الصفة المبررة ً جمالياً، في مجمل الحل التصميمي . وفي الاخير فان سياقات بعض من ذلك المنجز ستظل عصية عن الفهم والادراك ، من قبل اولئك الذين موجه لهم تلك العمارة او مستخدميها ،
في هذا المجال يمكن ان يرد نشاط المعماريين اللاتينين والاسيويين ، وفي الاخص معماري الهند وبنغالادش وغيرهما من الدول في انهماك معمارييهم واهتمامهم لايجاد حلول تصميمية واقعية لمجتمعاتهم. في حين لم نرَ اية نزعة واضحة لسلوك مماثل لتلك المقاربات في " اجندة " المعمارين العرب ؛ ويرجع ذلك ، في اعتقادي ، الى اسباب عديدة ، بضمنها عدم رغبة الكثير من المعماريين العرب لارتياد مثل تلك الافاق ، وتغاضي الكثيرون منهم لاهمية ومطلوبية تلك المقاربات التى ذكرنا بعضاً منها تواً . ولئن خلا الخطاب المعماري العربي لمثل تلك التوجهات في الوقت الحاضر ، فثمة امل يغمرني ، بان هذه الاحوال لا بد وان تتغير ، وان يتصدى المنجز المعماري العربي لهذه الاشكاليات بجد واجتهاد واضحيين ، وانا واثق ان ذلك سيعود بالخير، على العمارة وعلى المجتمع .

س: مارايك في بيت المعماريين العرب؟

ج: ارى ان المهام التى تؤديها صفحة " بيت المعماريين " على قدر كبير من الاهمية والفائدة ، والامر المميّز في هذه الصفحات هي تعددية الاراء وتنوع الاستجابات للقضايا المعمارية المثارة ، وهو امر صحي ومطلوب .. ومفيد ايضاً . ويدل هذا في الاخير ، على طبيعة الفكر المنفتح لمؤسس وناشر هذه الصفحة الالكترونية الرائعة ، واتمنى ان تظل صفحة " بيت المعماريين " مستمرة على هذا النهج : نهج التعددية ، والاقرار بان المعلومة المطلوبة ، يمكن الوصول اليها بطرق معرفية مختلفة ومتنوعة !
ادرك مدى العراقيل والمعوقات ، التى سوف يصادفها الناشر المجتهد ، في تحقيق قرار استمرار وظهورهذه الصفحة ، واقدر الوقت المبذول في اعدادها وتنظيمها ومتابعتها ، كما اقدر كلفة النفقات المالية العالية ، التى تصرف في سبيل ظهور صفحة " بيت المعماريين " ؛ ولهذا فاني آمل ، لو ان هذه الصفحة الالكترونية ، حظيت بدعم مالي ومضمون من جهات مانحة ، تفهم رسالتها وطبيعة استقلاليتها ، كصوت مميز واثير لدى شريحة واسعة من المهنيين / المعماريين والمهتمين بالعمارة ، من المتصفحين العرب.
اتمنى لك ، ولصفحتك " بيت المعماريين " النافعة والمطلوبة ، نجاحات كثيرة ، وان تحقق جميع امانيك في انجاز وتوسيع معارف جديدة ومضافة ، وفتح مجالات واسعة لنقاشات مهمة ومفيدة في الشأن المعماري والتخطيطي .
ولك شخصيا ، تمنيات صادقة بالنجاح والموفقية ،
بارك الله فيك!

س: ماهو السؤال الذي لم نسألك اياه ؟ وبماذا تجيب عليه؟

ج: اود ان استثمر جواب هذا السؤال ، في الاشارة بان كل ما جاء من بيانات او طروحات ، في هذه المقابلة ، هي في الواقع امور قابلة للنقاش والحوار ، مع احتمالية عالية لوجود اخطاء فيها . لكني ازعم ، من جانب آخر ، بان جميع تلك البيانات والطروحات التى وردت في المقابلة ، قيلت بكل صدقية واخلاص ؛ وهو ما يبرر اشهارها ، والتصريح بها علناً ، كاقوال تنشد ، بصدق ، ابتغاء الحقيقة ، ونشر المعلومة المفيدة. !

وقد يشي تكرار حضور " الانا " الزائد في ثنايا هذه المقابلة > بسبب طبيعة ونوعية الاسئلة المطروحة < ، الى " رسم " معالم لي كشخصية متبجحة ، وربما استفزازية ، بعيداً عن طبعي وسلوكي المعروفيين ، وما اتوق اليه من تواضع ، يساعدني في تلمس موقعي الحقيقي ، في خضم حراك نهر المعرفة الموار ، غير المحدد بضفاف ، والمتجدد دوماً ، والاهم الاعتراف الطوعي بعدم القدرة على الاحاطة التامة والكاملة في حقائق وجوانب معرفة ذلك الموضوع الاثير والراقي – " موضوع " العمارة ، الامر الذي " يشرعن " احتمالية وقوع الخطأ في تلك البيانات المكتوبة باسطر هذة المقابلة .

واذ قدر للافكار او الخواطر التى وردت في المقابلة ان تضيف شيئاً جديدا الى ذخيرة المتصفح المعرفية ، او ان تثير لديه تساؤلات عن طبيعة العمل المعماري واهميته وآفاقه ، فاني اعتقد بان المرمى الرئيس ، الذي جعلني انغمس في الاجابة > الاجابة الطويل وربما غير المبرراحيانا < ،عن تلك الاسئلة الذكية ، المتعددة ، والمتنوعة ؛ قد ةمّ بلوغه !

شكرا ، لك ، ايها الصديق العزيز ، لاتاحتك الفرصة لي ، لابداء تصوراتي عن العمارة وموضوعها ، بحرية وشفافية ؛ متمنيا لك والى صفحتك المتميزة والمطلوبة ، نجاحات مهنية ، وشخصية ، كثيرة .

ونحن بدورنا نشكر قبولك وكرمك ، و نقدر صبرك ووقتك ،، باسم بيت المعماريين العرب وجميع اعضاءه وزواره.